أزهار حول الرسول (ﷺ)

تاج الدين نوفل

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

أزهار حول الرسول (ﷺ)

الإخراج الفنى
محمــود شعبــان

«أزهار حول الرسول (ﷺ)»

بسم الله الرحمن الرحيم

((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)) [(١)]

تاج الدين نوفل

---

(١) ٣٣ الأحزاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) [1]

((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)) [2]

أما قبل

الحمد لله رب العالمين .. حمداً يليق بكماله وجماله وجلاله .. وأصلى وأسلم على محمد وآله .. النبى الكامل .. والسراج الشامل .. صاحب الحوض المورود .. والمقام المحمود .. واللواء المعقود .. والموقف المشهود ذى الكرم والجود .. أعظم مولود .. وخير موجود .. في الوجود .. محمد .. محمود .

أما بعد ..

السلام عليك يا حبيبى يا رسول الله ..

وأنا بين يديك .. ماذا أهدى إليك .. وأعظم شيء قليل عليك ..

لا أجد إلا صلاتى عليك .. لأنثر باقة ورد عليك ..

فأجمل منك لم تر قط عينى ... وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءا من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

والسلام على آلك الأطهار

يا آل بيت رسول الله حبكمو ... فرض من الله في القرآن أنزله [3]

يكفيكمو من عظيم الفخر أنكمو ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

---

(١) ٥٦ الأحزاب .

(٢) ٣٣ الأحزاب .

(٣) من شعر الشافعي .

والسلام على أهلك الأبرار ..

((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)) [1]

آل النبـــــى ذريعتـــــــى وهمــــو إليــــه وســــيلتى [2]

أرجـــو بهـــم أعطـــى غـــداً بيــــد اليمــــين صـــحيفتى

أما بعد :

فإنى أستأذنك ..

يا حبيبى يا رسول الله .. أن أقدم إليك على استحياء ..

هذه الأزهار .. وتلك الأنوار .. من آلك الأبرار .. وأهلك الأطهار .. فتقبلهـا منى فإن الأزهار لا ترد .. فقد جمعتها لك من حـدائق القـرآن .. وبسـاتين الإيمان .

فإن كانت الأزهار لا تذبل ..

فـــإن هـــذه الزهـــور ..

لا تعرف الذبول .. ولا يعرفها الذبول ..

وكيف لها أن تذبل وهى بين يدى رسول الله (ﷺ) ..

فهل تحوز الرضا .. يا حبيبى يا رسول الله ..

وهـل أحـوز القبول .. ؟

تاج الدين نوفل

---

(١) ٣٣ الأحزاب .

(٢) من شعر الشافعى .

الإهـــداء

« أزهار حول الرسول (ﷺ) »

أهدى هذه الأزهار .. وتلك الأنوار ..

إلـى :

حبيبى .. وقرة عينى .. النبى المختار (ﷺ) ..

محمد رسول الله (ﷺ) .. وآله الأطهار ..

الذى أخذ بأيدينا إلى الجنة .. وأنقذنا من النار ..

القائل :

* « أنا شجرة .. وفاطمة حملها .. وعلـيٌ لقاحهـا .. والحسـن والحسـين ثمرتها .. ومحبونا .. أهل البيت .. ورقها .. حقاً حقاً : أن يكونوا معنـا في الجنة » .

* « أهل بيتى شجرة : أصلها ثابت ، وفرعها في السماء » .

تاج الدين نوفل

تقديم

عندما اقتربت من هؤلاء بقلمى .. أحسست أنى إنسان غيـرى .. وأن قلبـى يحلق في عالم آخر ..

هذا عندما اقتربت بقلمى ..
فما بالنا بمن اقترب منهم بقلبه ..
وما بالنا بمن اقترب منهم بروحه ..
وما بالنا بمن عاش معهم ..
وكأنى أسمع قلبى ..
وكأنى أسأل ربى :
ما ذنبى .. ؟!
ما ذنبى أنى لم أكن معهم .. ؟!

وما ذنبى أنى قد عشت في عصر غير عصرهم .. وزمان غير زمـانهم ..؟! ولماذا لم أكن معهم .. فى زمانهم .. وفى عصرهم .. حتى أستطيع أن أؤدى حقـاً أو أقدم طاعة .. تليـق بتلـك الصـفوة المختـارة .. التـى ألقـى الله محبتـه عليهم .. وصنعهم على عينه ؟

تلك الصفوة التى بذرها الله نجوماً وكواكب تضىء في الأرض لأهلها .. كمـا تضىء الكواكب والنجوم في السماء .. لتمسح عنهم الهموم .. والغموم .. والأوهام وتهديهم في ظلمات هذا الكون .. الحالكة السواد .. وتأخذ بأيديهم إلى رضوان الله.

مثل الكواكـب فـي السـماءْ فـي الأرض كـان الأوليـاءْ
يـهـدون لله البشـــرْ
تصفو بهـم شـتى الغيـومْ فالأوليـاء هـم النجـومْ
ومحمدٌ كـان القمـرْ (١)

---

(١) من شعر المؤلف .

إنهم رذاذ الهدى .. وشعاع الرضا .. وعبير الندى .. لقد عشت أياما .. ليست من الأيام .. وليالى ليست من الليالى .. لا أعرف ليلى من نهارى .. ولا نهـارى من ليلى .. ولا قلمى من قلبى .. ولا قلبى من قلمى ..

كل ما عرفته : أننى غمست قلمى في قلبى فكتبت ..

فلست أدرى ..

هـل أكتـب بمـدادى أم أكتـب بفـؤادى .. ؟!

هـل أكتـب بقلمـى أم أكتـب بقلبـى .. ؟!

هل أكتب أم أرسم ؟!

هل أكتب أم أقرأ ؟!

لا أعرف شيئاً ..

لا أعرف إلا دموعى ..

فلم أر إلا دموع عينى ..

ولم أسمع إلا خفقان قلبى ..

ولم أشعر إلا بأسراب من طيور " النورس " تطير داخل صدرى .. كنسيم من بحرى .. في صيف حر ..

فهذه حفنة من دموعى ..

وهذه نفحة من نبضى ..

فلعل هذه الحفنة .. وتلك النفحة .. هى الرؤيا التى رأيتها منذ زمن بعيد .. فقد رأيت :

((أنى أدفع عربة صغيرة بيضاء أمامى .. وكان عليها هؤلاء الطاهرات : " خديجة ، زينب ، رقية ، أم كلثوم ، فاطمة الزهراء "(رضوان الله عليهن أجمعين)

وأخريات لا أعرفهن .. ولكنهن مضيئات كالشموس والأقمار .. عاطرات كالورود والأزهار)) .

فقمت من نومى .. قرير العين .. منشرح الصدر .. مستريح الفؤاد .. أبحـث عن تفسير لهده الرؤيا .. حتى كان اليوم الذى أتممت فيه ديـوانى الأول " لؤلـؤ ومرجان " وهو باقة من القصائد الشعرية .. والقوارير الروحية .. عـن هـؤلاء الطاهرات .. قدمتها الإذاعة في برنامج خاص باسم " رائدات مؤمنات " في شـهر رمضان .. وقدمها التلفزيون في برنامج " دنيا ودين " .

وشـــاء الله أن أكتبهـــا نثـــراً .. ليجتمـــع النثـــر والشـــعر معـــا .. جناحـــا الأدب .. فالشعر يزين النثر .. ويزيده جمالاً ورونقا .. والنثر يقوى الشعر ويزيده بهاء ونوراً ..

أسأل الله أن يجمع علينا الحسنيين ..

أما بعد :

فيا أخى في الله .. في أرض الله ..

ويا أختى في الله .. في كل مكان ..

هاأنذا .. أتركَكما .. بين هذه الصحبة .. وفي شذا تلك الباقة .. بروح مشتاقة ونفس تواقة .. إلى تلك الجواهر النفيسة .. واللآلئ البراقة ..

فأحسن صحبتها .. وبارك روضتها ..

واعلم أنك بين يدى الرحمة .. تخوض فيها من شعر رأسك إلى قدميك ..

فتمهل .. وترفق ..

فإنك ترفل في رياض الجنة .. بحق وصدق ويقين ..

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

تاج الدين نوفل

خديجة بنت خويلد
سيدة نساء العالـمين
وزيرة الإسلام الأولى
رضى الله تعالى عنها

خير نساء العالمين أربع :
« مريم ، وآسية ، وخديجة ، وفاطمة »
" حديث شريف "

شمس وقمر

تاج القداسة والجلالْ   وعرائس الحسن الغوالْ

وكواكب الشرف الرفيع   تدق أبراج الكمالْ

والخير لا يحصى لديها   والجمال ذرا الجمالْ

" فمحمدٌ " و " خديجة "   زوجان مالهما مثالْ

فإذا ذكرت محاسناً   فهما المحاسن لا جدالْ

قد صدَّقته بأصغريها   حين كذَّبه الرجالْ

فأحبها حباً تزول له   الجبال ولا يزالْ

فالشمس تشرق كل يوم   ثم تغرب لا محالْ

لكن شمس " خديجة "   تأبى الغروب أو الزوالْ

فوراء ركب الخالدين   كواكب الحسن الغوالْ

تاج الدين نوفل

((بشرى السماء))

ما أجمل أن تخاطب السماء الأرض ، وما أسمى أن يخاطب الله عباده ، وما أسنى أن يخاطب النور التراب ، وما أرقى أن يرسل الله رسالة إلى عبد من عباده ما هو بنبى ولا رسول .

فقد بعث الله تعالى من السماء ، رسالة مباركة ، إلى " خديجة بنت خويلد " في الأرض ، يحملها إليها ملك كريم : جبريل (أمير الملائكة) ويزفها إليها خاتم الأنبياء : محمد بن عبد الله (ﷺ) يقول فيها رب العزة لخديجة :

" الله يقرئك السلام .."

" ويبشرك ببيت في الجنة من قصب لا وصب فيه ولا نصب "

بشرى مباركة .. ممن عنده البشرى ..

بيت من قصب .. من أنابيب الجوهر .. وقوارير اللؤلؤ .. من دخله لا يخرج منه ، ومن ضمه لا يصيبه تعب أبداً ، ولا مرض قط .

إنه بيت النعيم .. ونعم البيت .. إنها السعادة .. بالحسنى وزيادة .

ولقائل أن يقول :

.. أى بشرى كهذه البشرى ؟!

فنقول له :

وأى أمرأة كخديجة ؟!

سيدة نساء العالمين بحق وصدق .

ألم يقل النبى الخاتم (ﷺ) كمل من الرجال كثير .. ولم يكمل من النساء إلا أربع :

((مريم ابنة عمران ، وآسية زوج فرعون ، وخديجة زوج محمد ، وفاطمة بنت محمد .))

فلا التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... ولا التذكير فخر للهلالِ

فلو كان النساء كمثل هذى ... لفضلت النساء على الرجالِ

((أجمل وجه))

إنها " خديجة بنت خويلد : بن عبد العزى بن أسد القرشية الأسدية " الصـدِّيقة الكبرى ، والأم الأولى للمؤمنين ، والزوج المثلى للرسـول الكـريم ، وأم أولاده جميعاً عدا إبراهيم .

أول وجه ، بل أجمل وجه يشرق بنور الإيمان ، متلألئاً في الأرض ، متألقـاً في السماء ، فكانت نجمة البر ، وكوكـب الأمـل ، ومنـارة الهـدى ، وراحـة الروح ، وواحة السكينة للنبى (ﷺ) من عناء ما يلقى من أعدائه .

كانت من أشرف نساء قريش نسباً ، وأوفـرهن مـالاً ، وأرجحهـن عقـلاً وأصبحهن وجهاً . فكانت تدعى في الجاهلية : الطاهرة لشـدة عفافهـا ويلقبونهـا " سيدة نساء قريش " .

أبوها " خويلد " من أشراف قريش ، أمها " فاطمـة " فيتصـل حبـل نسـبها بالشجرة النبوية المباركة ، وبـذلك أصـبحت أم المـؤمنين : أقـرب الزوجـات المطهرات إلى الرسول نسباً .

وكان لها مكانة سامية بين قومها ، لصباحة وجهها ، وجمال نفسها ، فخطبهـا لأول مرة " عتيق بن عائذ " فتزوجته وأنجبت منه بنتاً ثم مات عنهـا ، فتزوجـت شريفاً آخر هو " النباش بن زرارة " فولدت له " هالة " " وهند " وهما ولدان ، ثـم مات عنها فترملت ثانية .

وذات ليلة : قامت السيدة خديجة من نومها مضطربة .. على أثر حلم رأته قد ارتعدت فرائصها له ، واقشعر بدنها من أجله .

فقد رأت كأن شمسًا عظيمة تهبط إلى منزلها من سماء مكة ، فيغمر نورها ما يحيط المنزل من أماكن وبقاع ، فقامت من نومها مضطربة ، وسارعت نحـو دار ابن عمها " ورقة بن نوفل " وقد كان حبراً عالماً بتأويل الأحلام .

وما كادت تفضى إليه بقصة رؤياها ، حتى أخبرها ووجهه يتهلل بشراً :
أن تلك الأنوار علامة مجيء خاتم الأنبياء ، ودخولها المنزل ، دليل على أنها تتزوج منه ومن ثم أصبح خاتم الأنبياء ، بعد هذه الرؤيا الصالحة ، غاية الغايـات ومنية الأمنيات .

فبدأت تصحو وتنام ، على تلك الأحلام ، عسى أن ترى في منامها ما يقربها منه ، وما يخبرها عنه ، وتستجدى النوم .. عسى أن تراه في رؤيا أو منام ، فتأتنس به ، وتسكن إليه .

وذات يوم والنساء مجتمعات بالكعبة الشريفة ، إذ تمثل لهن رجل من اليهود ينادى بأعلى صوته :

يا نساء مكة قد قرب ظهور " خاتم النبيين " فمن منكن ستكون زوجته ؟

فكذبنه ورمينه بالحصى ..

وكانت بينهن " خديجة " فلم ترمه كما فعلن ، وإنما ظلت في مكانها ، واجمة لا تتحرك مما انتابها من خفقان قلبها ، وقشعريرة بدنها ، إنها البشارة ، التى تنتظرها والأمل الذى ظلت تراوده وظل يراودها ، هل آن له أن يتحقق ؟! وهل اقترب موعده الجميل ؟!

وسبحت في بحر من نور .. لا تعرف مداه .. هل آن الآوان .. واقترب الزمان ؟! فقد كان هذا الأمل .. يسرى في دمها .. عذباً في فمها .. تنتظره كما ينتظر المحب حبيباً غائباً سيعود ، وقد فرشت طريقه بالورود ، فقد كانت تشعر أنها تحيا من أجله ، وتعيش في سبيله ، وأنه سر وجودها ، وكنز حياتها ، بل هو الحياة ذاتها ، وهو الوجود .

فقد كانت تسبح في بحر بلا شطآن ، وخيال بلا حدود ، وتطلق لنفسها العنان فلا سدود ولا قيود ، من أجل أن تظفر بالكنز المكنوز ، والسر المكنون ، فتحظى وتفوز .

«لقاء»

كانت لمحمد بن عبد الله " أمين قريش " منزلة عالية وقيمة غالية في نفس عمه أبى طالب .. وعمته عتيقة ، وقد تحدث أبو طالب مع أخته عتيقة في مستقبل محمد فقال أبو طالب لأخته :

لقد شَبَّ محمد وصار رجلاً ، وآن له أن يتأهل ، فما ترين في ذلك ؟

قالت عتيقة :

إنه فقير ، وخديجة ذات مال ، تتاجر بأموالهـا ، وتـؤجر أناسـاً يخرجـون بتجارتها إلى الشام ، فليتها تعطيه المال فيتاجر به .

سمع محمد الحديث الذى دار بين عمه وعمته .. وقال :

إذا شاءت خديجة أرسلت إليّ ..

فأدركت العمة أن محمداً لن يسعى إلى الأمر بنفسه .. لما عليه من عزة نفس.
وبلغ خديجة ما دار بين محمد وعمه وعمته ، فما كان منها إلا أن أرسلت إليه لما عرفته عنه من الصدق والأمانة ، إذ أنه كان يلقـب " بـالأمين " وعرضـت عليه : أن يخرج في مال لها إلى الشام تـاجراً ، وتعطيـه ضـعف مـا تعطـى غيره ، مع غلام لها يقال له " ميسرة " .

فقبل الأمين " محمد " منها ذلك وخرج في مالها ومعه " ميسرة " وقد اغتـبط محمد بحسن وفادتها له ، وجميل مقابلتها إياه .

ونقل إلى عمه " أبى طالب " ما دار بينهما من حديث .

فقال له عمه " أبو طالب" :

أبشر برزق ساقه الله إليك .

وكانت هذه هى المرة الأولى التى يلتقى فيها أمين قريش محمد وسيدة النسـاء خديجة ، مما كان له أعظم الأثر في نفسها التى اهتزت من أعماقهـا أمـام مـرآه وأحست كأن نوراً سرى فى روحها من روحه ، ودماً مشى في عروقها من دمـه فتعلقت بجواره ، وتمسكت برحابه ، فقد امتدت الروحانية التى تحيطه بهالـة مـن القداسة .. إلى قرارة نفسها ، فربطت عرى المحبة في قلبها برباط لا انفصام له .

فقد ألقى محمد بنوره الذى يشرق من جبينه : هالات من الظلال المباركة في نفس خديجة ووجدانها ، فأحست كأن ملكاً من السماء يمشى على الأرض .. فـي صورة بشر ، يتخلل في كيانها .

واقتنعت خديجة مع هذا .. أنها أمام عظيم من الرجال ، وفذ من الأفذاذ وأيقنت بأن الماثل أمامها بسمته الكريم .. وخلقه العظيم .. الذى يأسـر النفـوس ويأخـذ بمجامع القلوب : هو النبى المنتظر والعظيم المرتقب .

((في أرض الله))

خرج محمد ومعه " ميسرة " على تجارة خديجة ، ومنذ أن خرج وروحها معه فقد أرتأى لها أن قلبها يحلق في ملكوت آخر ، وأنه لن يستقر حيث كان حتى يعود محمد .

ظلت " خديجة " سابحة في أحلامها وتذكرت ذلك الحلم الجميل ، وأحست أنها تعيش فيه ، وكأنها نائمة .

ترى تلك الشمس التى دخلت بيتها ، وذلك النور الذى غمر دارهـــا ، وفـــاض على ما حوله من الدنيا ، وأخذ يمتد حتى غمر العالم كله .

وأخذت تسائل نفسها في دهشة :
أحقيقة أننى سأتزوج نبى هذه الأمة ؟
وهى سابحة في خيال أشبه بالحقيقة .. إلى حقيقة أشبه بالخيال .

((عودة الحبيب))

وتمر الأيام .. :
وبينما " خديجة " في نشوة الأحلام ..
إذ تسمع وقع الخطى والأقدام .. فيعلو قلبها الخفقان ..
وقد كان .. .. فها هو " محمد " قد عاد من الشام ..
من شرفة منزلها .. رأته من بعيد .. ورأت ما يثير الدهشة والإعجاب ، فقــد رأت سحابة .. تظله من حر الهجير ، تقف إن وقف ، وتسير إن سار .

عاد " الأمين " وأفضى إليها ببشرى ربحها الجزيل ، فعـــلا وجههـــا البشـــر والإيناس ، ثم طلبت إليه أن يعود إليها " بميسرة " .. لا لشىء إلا لترى مرة ثانية تلك السحابة التى تظلله .. تسرع معه .. وتقف معه .. وكأنها مظلة من السماء .

وعاد " ميسرة " وقص عليها ما شاهده من براهين .. وبينـــات .. وكرامـــات وبركات ظهرت على يديه .. مما يؤكد أنه نبى هذه الأمة .

واستطرد " ميسرة " قائلاً :

- نزل " محمد " ذات يوم في ظل شجرة قريباً مـن صـومعة " نسـطورا " الراهب ، فسأل الراهب " ميسرة " :

- من الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟!

قال " ميسرة " :

- هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

قال " نسطورا " :

- ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى .

قالت خديجة ووجهها يتهلل بشرا ، وروحها ترفرف زهواً :

- ثم ماذا يا " ميسرة " ؟!

قال " ميسرة " :

- ورأيت سحابة تظلله إن وقف أو سار ، فتقيه حر الشمس .. وقيظ الهجير.

كان الناس في دهشة من أمر هذه السحابة .. التى اختصت محمداً بظلها : إذا تحركوا ليستظلوا بها بعدت عنهم ، وإذا تحرك " محمد " تحركت معه .

ظلت هذه السحابة معه تظله حيث يسير ، ولم تفارقه حتى بلغنا الشام ، تنعقـد عليه من الصباح إلى المساء ، ثم تنعقد عليه مرة أخرى إذا أشرقت الشـمس مـن جديد .. وهكذا ..

وكان " محمد " يا سيدتى منصرفاً عن الناس إلى تفكير عميق ، لا يتحدث إلا إذا سئل ، ولا يتدخل في شيء إلا إذا طلب إليه ذلك ، ولم يشترك في لهو أو عبث.

أومأت " خديجة " إلى " ميسرة " أن يسترسل في الحديث .. وكأنها لا تريده أن يتوقف ، وقد علا وجهها البشر والإعجاب .

فقال " ميسرة " :

- شأن " محمد " عجيب يا سيدتى ..

فقالت خديجة وقد أدهشها ما ترى وما تسمع :

- وما هذا الربح الوفير الذى عاد به " محمد " ؟!

وما هذه السلع الكثيرة التى رجع بها ؟!

كيف اشترى هذه الأشياء كلها ؟! وبأى مال ؟!

فأجاب " ميسرة " وقد ابتسم ابتسامة عريضة :

- بركة " محمد " يا سيدتى !!

لقد كان الله معه في الشراء ، وكان معه في البيع .
وكان إذا وضع يده في شيء بورك فيه .
وإذا تكلم سمع إليه .
ومن رآه أحبه .
وتهافت من رآه أن يشترى منه ، وأن يبتاع له .
فأشرقت أسارير " خديجة " وقالت لميسرة في نشوة :
– يبدو أنك معجب " بمحمد " .. فخور به يا " ميسرة " .
قال " ميسرة " :
– إن أمر " محمد " لعجيب يا سيدتى ..
وصمت " ميسرة " قليلاً .. وكأنه يجمع خيوط نبأ عظيم ..
ثم قال :
– هل تصدقين يا سيدتى أن " محمداً " هذا .. قد يكون هو النبى الذى ينتظره الناس ، ويقولون : إنه قد حان حينه ، وآن أوانه ؟!
فرفعت " خديجة " رأسها .. وقد أخذتها الدهشة قائلة :
– ماذا تقول يا " ميسرة " ؟ وقد اشرأبت إليه بأذنيها ..
فاستطرد قائلا :
بينما نحن " ببصرى " بالشام .. جلس " محمد " تحت شجرة من الأشجار ، لا تختلف عن باقى الأشجار التى نراها ، وقريباً من هذه الشجرة .. توجد صـــومعة راهب يدعى : " نسطورا " فإذا بذلك الراهب يخرج رأسه من صومعته ، فلما رأى محمداً .. أسرع إلىّ وسألنى في لهفة ودهشة :
– من هذا الرجل الذى يجلس تحت هذه الشجرة ؟!
فقلت له :
– إنه رجل من قريش .
فصاح الراهب :
– أبعث إلى الناس ؟!
فقلت في دهشة :
– ماذا تريد ؟! وماذا تعنى بهذا البعث ؟!!
قال الراهب :

- إن لم يكن هذا الرجل قد بعث ، فسوف يبعث برسالة الله للناس ، فما جلس تحت هذه الشجرة إلا الأنبياء !!

ثم قال الراهب :

- أفي عينيه حمرة ؟

قلت :

- نعم في عينيه حمرة .

فهرول الراهب نحو النبى (ﷺ) وهو يردد :

- ليتنى أدرك وقت نبوته ..

ودنا الراهب منه وتأمله طويلاً ، ثم عاين النقطة التى بين كتفيه . وهى علامة النبوة ، ثم ولى الراهب مأخوذ اللب والفؤاد .

عندئذ قامت خديجة مسرعة إلى غرفتها .. وارتدت ملابسها ، وأسرعت إلى ابن عمها " ورقة بن نوفل " وقصت عليه حديث " ميسرة " وسألته :

أينتظر أن يكون " محمد " نبى هذه الأمة ..

فقال " ورقة بن نوفل " :

إنه لنبى هذه الأمة يا خديجة !

إن صفاته تنطبق على ما أعرف من كتب مقدسة .

آبت " خديجة " إلى بيتها وقد عزمت ألا يفوتها شرف الزواج " بمحمد " نبى هذه الأمة .. وأعدت العدة لذلك ، حتى تظفر بهذا النور المبين .. والكنز الثمين رسول رب العالمين .

((تفكير وتدبير))

انقطعت " خديجة " أياماً وليالى قلقة لا تنام ، وقد شغلها أمر هام ، حتى اهتدت إلى مدخل كريم .. إلى الرجل العظيم " محمد " .

وفجأة دعت امرأة مخلصة لها تدعى " نفيسة " وكانت مشهورة بأمانتها وسماحتها وإخلاصها ، وأسَرَّت إليها بحديث .. خرجت على أثره إلى بيت " محمد " .

بعد السلام والتحية ..

وبعد كلام قليل .. جميل ..

هنأت فيه " نفيسة " محمداً بسلامة العودة .. التفتت ذات اليمين وذات الشمال فلم تجد بالدار إلا " أم أيمن " تقوم ببعض شأنها .. والدار خاوية ممن يروح ويجيء فقالت " نفيسة " وقد أشفقت عليه : أما آن الأوان يا " محمد " أن تبدد هذه الوحشة ؟

فقال لها :

– ليس مع الله وحشة .

قالت " نفيسة " :

– أقصد زوجة تملأ عليك البيت بهجة ، وتحمل عنك عبأه .

فأطرق " محمد " ..

واستطردت " نفيسة " قائلة :

– ما يمنعك من الزواج يا " محمد " ؟

فقال " محمد " :

– إننى فقير ولا أملك المال الذى يؤهلنى لمثل هذا الآن يا " نفيسة " .

قالت " نفيسة " :

– فإذا دعيت إلى المال والجمال .. والحسب والنسب ..وما يؤهلك لمثل هذا؟

فنظر إليها " محمد " كمن يستشف شيئاً أرادت أن تخفيه .. وقال :

– ومن تكون هذه يا " نفيسة " ؟!

فاستجمعت " نفيسة " شجاعتها وقالت هامسة :

– " خديجة " .

فنظر إليها " محمد " وقال :

– من ؟

قالت :

– " خديجة " .. " خديجة بنت خويلد " ..

فقال : " محمد " وقد حمله كلام " نفيسة " إلى بعيد :

– وكيف يكون ذلك ؟!

– وإنى أعلم أنها ترفض الزواج منذ حوالى عشرين عاماً ؟!
فقالت " نفيسة " وقد أحست أنها تقترب من هدفها النبيل :

ما عليك يا " محمد " .. إن أنت قبلت .. قمت أنا بإقناعها .. وأعدك بذلك فمثلك من الرجال لا يرفض يا " محمد " .. إنك خير زوج لخير زوجة .

فصمت " محمد " صمت القبول .. فقد كان أشد حياء من العذراء في خدرها .

فسلمت " نفيسة " وهرولت مسرعة إلى سيدتها " خديجة " تزف البشرى وكانت ميمونة الطالع ، فقبّلتها " خديجة " قبلة الأمل الذى أشرقت شمسه من بعيد .

وقامت " خديجة " إلى غرفتها مسرعة ثم عادت تحمل إلى " نفيسة " هدية ثمينة ابتهاجاً بهذه البشرى التى ظلت حلماً جميلاً .. يراودها طويلاً ، حتى أفاقت عليه .

أحست " خديجة " من ساعتها أنها لا تمشى على الأرض ، وإنما تحلق في السماء ، تحملها أجنحة الملائكة إلى آفاق مباركة .

ولم تملك " خديجة " إلا أن أرسلت إليه ثانية لزيارتها ، فلبى " محمد " غبطاً مسروراً ، وقد أحس أن هذا : من تيسير الله وتوفيقه له ، وبدأ في الإعداد للزفاف.

((شمس الأمل))

تحقق الأمل ..
وأشرقت شمسه على بيت " خديجة " ، تلك الشمس التى رأتها من قبل في المنام خيالاً ، وها هى الآن في اليقظة حقيقة تضىء الدار وما حولها ، وعما قريب تغمر العالم بأنوارها التى لا تنقطع على مر الزمان .

حضر القوم وقد ازدان بهم المكان ، " ومحمد " أوسطهم متلألئ الوجه مشرق السمت . كأن الشمس تخرج من جبينه ، والبدر يطلع من خلاله .

استوى " أبو طالب " في جلسته ، وقد اتجه إلى القوم يمينا وشمالا ، ثم قال والبشر يعلو قسمات وجهه :

((الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم .. وزرع إسماعيل ، حفظة بيته الحرام ، وسدنة حرمه الآمن ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمنا ، وجعلنا حكام الناس)) .

يا معشر قريش :

هذا بن أخي " محمد بن عبد الله " (ﷺ) .

لا يوزن به رجل إلا رجح شرفاً ونبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل ، وأمل حائل ، وعارية مسترجعة ، وهو والله بعد له نبأ عظيم وخطر جليل ، وقد رغب إليكم رغبة في كريمتكم " خديجة " وقد رغبت " خديجة " في مثل ذلك ، وقد بذل من الصداق ما عاجله وآجله اثنتى عشرة أوقية ونشاً .

ثم قام " ورقة بن نوفل " وهو الذى فسر لها رؤياها من قبل بالزواج من " محمد " نبى هذه الأمة .. فقال معقباً :

الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عددت ، فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله ، ولا ينكر العرب فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، فاشهدوا علىّ معاشر قريش : أنى قد زوجت " خديجة بنت خويلد " من " محمد بن عبدالله " .

ثم قام " عمرو بن أسد " عم خديجة فقال :

– " هو الفحل الذى لا يقرع أنفه "

" اشهدوا علىّ معاشر قريش أنى قد أنكحت " محمد بن عبدالله " .. " خديجة بنت خويلد " .

« في حديقة النبى (ﷺ) »

كانت السعادة ترفرف .. والفرحة تزغرد .. والنشوة تغرد .. في هذا البيت الطيب الطاهر ، بيت العروسين المباركين " محمد " و " خديجة " .

فقد كانت " خديجة " تخشى على " محمد " من نسمة الهواء .. وقطرة الماء . وكانت تحيطه برعايتها وعنايتها ، فلا تغمض عينها عنه ساعة من ليل أو نهار فقد كانت تحبه حبا جماً ، وشغفاً تاماً ، فقد ملأ قلبها وروحها وعقلها ، وأصبح " محمد " هو الحياة ، فقد كانت ترى بعينى " محمد " ، وتسمع بأذنى " محمد " وتتكلم بلسان " محمد " ، فإذا نامت أغمضت عينيها عليه .. وإذا قامت فتحت عينيها عليه ..

ومضت حياتهما هانئة سعيدة ، تنتقل من سعد إلى سعد ، ومن بهجة إلى بهجة ومن حب إلى حب ، فقد كان بيتهما أشبه بحديقة الورد ، عبقاً يفوح شذاه على كل من اقترب منه .

وتمضى الأيام .. وتثمر الحديقة بالأزهار اليانعة : " القاسم " : وبه كان يكنى وعبدالله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة الزهراء : سيدة زهور الحـــدائق وزهرة أزهار البساتين .

وتتفتح هذه الأزهار يوماً بعد يوم ، وتشرق الآمال ، فتقوى عرى المحبة بين " محمد " و " خديجة " فقد كان " محمد " محباً لأبنائه ، شغوفاً بهم ، عطوفاً عليهم بصورة لم تعهدها العرب من قبل ، مما حدا بأمير الشعراء " أحمد شوقى " أن يعبر عن هذا بقوله :

وإذا رحمـــت فأنـــت أم أو أب   هذان في الدنيا هما الرحمـــاء

فقد رآه رجل يُقَبِّلُ أبناءه ، فقال له :

أتقبلون أولادكم ، والله إن لى عشرة أولاد ما قبلت واحداً منهم قط .

فقال له :

" أو أملك لك إن نزع الله الرحمة من قلبك ؟! "

لقد كان الرحمة المهداة .. والنعمة المسداة ..

وملاك ذلك كله .. ثناء الله عليه .. :

((**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**))(١)

وهكذا :

سارت حياتهما .. حتى قضيا خمساً وعشرين ربيعاً . لا تعرف الخريف ، فلم تلم بها شائبة تخيف .. ولا ظل طفيف .

((طال انتظارى يا خديجة))

لججت وكنت في الذكرى لجوجا   لهـــم طالمـــا بعـــث النشـــيجا
ووصف من خديجة بعد وصـــف   فقد طال انتظـــارى يـــا خـــديجا
ببطن المكتـــين علـــى رجـــائى   حـــديثك أن أرى منـــه خروجـــا

---

(١) ١٠٧ الأنبياء .

كان " ورقة بن نوفل " يلمح النور في سمت " محمد " ، وكان كلما رآه تـذكر قول أختة " رقية " عن النور الذى رأته في وجه أبيه " عبدالله " منذ ستة وعشرين عاماً ، فيهتف بهذا الشعر ، وقد استبد به الشوق لبعثة النبى المنتظر .

فقد روت كتب التاريخ الإسلامى :

أن " رقية بنت نوفل " الأسدية ، أخت " ورقة " رأت ذات ليلة " عبدالله بن عبد المطلب " والد النبى (ﷺ) إثر انصرافه من الكعبة .. بعد أن افتدى من الذبح وفاء لنذر أبيه ، فلمحت بين عينيه نوراً ، تراءت فيه مخايل المجد والسؤدد فعرضـت عليه نفسها ، وله مثل الإبل المئـة التـى نحـرت عنـه ، فاعتـذر إليهـا فـي تلطف ، ومضى فتزوج " آمنة بنت وهب " فتاة آل زهرة .

وفي الليلة التالية قابلته المرأة فأعرضت عنه ، فقال لها عبدالله :

– ماذا حدث ؟! ..

– قد كنت بالأمس مقبلة علىَّ ، فما بالك معرضة عنى اليوم ؟

قالت له :

– لقد كنت أنشد النور الذى بين عينيك ، فأردت أن أظفر به ولكن سبقتنى إليه بالأمس " بنت وهب " فلا حاجة لى بك اليوم .

أى فراسة تلك ؟!

وأى شفافية هذى ؟!

لقد كانت تريد النور " نور النبوة " لا شيء غيره ، وكانت تطمـع أن تكـون مهداً له ، ووعاء لحمله ، فلما انتقل هذا النور ، وتحول إلى " آمنة بنت وهب " فلم يعد في وجهه نور ، وإنما انتقل إلى رحم " آمنة " ، فلم تعد في حاجة إليه .

وكان " ورقة بن نوفل " يسمع استجابة " محمد " " لخديجة " بنت عمه ، ويشهد حفل عرسهما ، فتحمله هذه البشرى إلى ذكرى بعيدة ، يوم انصـراف " عبـدالله " والد " محمد " عن أخته " رقية بنت نوفل " فتجيش نفسه بالذكرى ، وتحلق به فوق آفاق رحبه ، ثم ما يلبث أن يعود بذكراه .. فيلقى بنظرته إلى العروسين في حفـل زفافهما فيلمح النور في وجه " محمد " فيهتف من أعماقه :

لججت وكنت في الذكرى لجوجا ... لهـم طالمـا بعـث النشـيجا
ووصف من خديجة بعد وصـف ... فقد طال انتظارى يـا خـديجا
ببطن المكتـين علـى رجـائى ... حـديثك أن أرى منـه خروجـا

اجتمعت قريش .. وأجمعت أمرها .. على أن تعيد بناء الكعبة ، بعد أن طال ترددها في هذا .. مهابة وإشفاقاً .

فقد حدث .. أن الكعبة المشرفة .. تداعت أركانها ، وتصدعت جدرانها وأحرقت ستائرها بعد حريق أصابها .. بشرارة من جمرة إحدى النسوة .

وبلغ قريش : أن سفينة رومية جنحت بها الرياح قريباً من جدة ، فسعى إليها الرجال ، وعادوا بأخشابها ، وبنجار مصرى من ذوى الخبرة في العمارة .

وتحدد الموعد على وجل وخوف .. من هدم البناء الأول .. حتى قام " الوليد بن المغيرة المخزومى " فأخذ المعول وقال :

" اللهم إنا لم نزغ ! اللهم إنا لا نريد إلا الخير ! "

ثم هوى بالمعول والقوم ينظرون إليه مرتاعين .. مذعورين خوفاً من أن ينزل عذاب من السماء .. أو من تحت أرجلهم .. فيهلكهم جميعاً .

فلما لم يصب بسوء ، وخرج ولم يمسسه أذى ، فهدم .. وهدم الناس معه وتنافست القبائل في جمع الحجارة لبناء الكعبة ، وشارك " محمد " في ذلك العمل المجيد ، فكان ينقل الحجر مع القوم ، حتى إذا تم البناء ، اختصمت قريش في الحجر الأسود ، كل قبيلة تريد أن تستأثر بشرف رفعه إلى موضعه .

واشتدت الخصومة .. حتى أنذرت بحرب ضروس ، ومكثت قريش على هذا الحال أربع ليال أو خمساً ، ونذر الخطر تزداد ، حتى قام فيهم " أبو أمية بن المغيرة المخزومى " وهو يومئذ أكبرهم سناً .. فقال :

« يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه ، أول من يدخل من باب المسجد ، يقضى بينكم فيه ، فقبلوا ، وتعلقت عيونهم جميعاً بالباب ينتظرون الحكم المجهول الذى يتولى هذا الحكم . وبينما هم كذلك إذ أقبل رجل شاب ، تام الفتوة متزن الخطى من غير تكلف ، رزين من غير فتور ، بهى الطلعة ، ضخم الرأس مُرَجَّل الشعر شديد سواده ، مبسوط الحاجبين ، واسع العينين ، يشع من وجهه نور متلألئ » .

فهتفوا جميعاً وقد اغتبطوا لرؤيته ، واستبشروا :

((هذا الأمين ، هذا " محمد بن عبدالله " الهاشمى ، رضينا بحكمه)) وكان سنه يومئذ : خمساً وثلاثين سنة.

فأقبلوا عليه ، وعرضوا عليه الأمر ، فطلب ثوباً .. ثم تناول الحجر فوضعه بيده الكريمة في الثوب .. وقال :

" لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً " .

ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به مكانه ، وضعه " محمد " بيده المباركة ودعم بناءه .

وعاد " محمد " إلى بيته مستبشراً بعد أن وضع الحجر الأسود بيده المباركة وفض النزاع القائم بين قبائل قريش ، وأطفأ نار الحرب التى أوشكت أن تتأجج ليستقبل بشرى مولد " الزهراء " .

واقترنت بشرى وضع الحجر الأسود ببشرى وضع " فاطمة " فقد وضع " الأمين محمد " الحجر الأسود في بيت الله ، ووضعت " خديجة " " فاطمة الزهراء " في بيت " محمد " .

واقترنت هذه البشرى ، ببشرى نجاة قريش على يد الأمين " محمد " من براثن الحرب .

ورددت المحافل والقوافل في داخل مكة وخارجها :

((أول طالع خير))

تشاجرت الأحياء في فصل خطة	**جرت بينهم بالنحس من بعد أسعدِ**
تلاقوا بها ، بالبغض بعد مودة	**وأوقدوا نارا بينهم شر موقدِ**
فلما رأينا الأمر قد جد جده	**ولم يبق شىء غير سل المهندِ**
رضينا وقلنا : العدل أول طالع	**يجىء من البطحاء من غير موعدِ**
ففاجأنا هذا الأمين " محمد "	**فقلنا : رضينا بالأمين " محمد "**

«فرحتان»

وسعى " محمد " مهنئاً " خديجة " بسلامتها .. ووليدتها .. وقد استبشر بميلاد " الزهراء " وبارك مولدها في هذا اليوم الأغر من أيام الله تعالى .. الذى سيرتبط دائماً بذكرى بناء الكعبة وتجديدها .. ووضع الحجر الأسود .

وسعدت " خديجة " أيما سعادة بتلك البشرى التى رأتها على وجه الحبيب " محمد " بميلاد " فاطمة " ومما زاد سعادتها .. وجدد نشوتها ، أن رأت في " فاطمة " صورة أبيها " محمد " فأدركت أن الله تعالى قد براها على مثال " محمد " لتكون أنساً لها في وقت غيابه عنها .

فلقد كانت " فاطمة الزهراء " أقرب الشبه بأبيها : في خَلْقها وخُلُقها :

«وجه المصطفى»

" زهراء " يا بنت الرسول	أفديك " فاطمة البتول "[1]
خير النساء جميعهن	وخير أبناء الرسول[2]
وجه كوجه المصطفى	جمع السماحة والقبول
يا أصل كل فضيلة	بيديك ينبوع الأصول
يا زهرة البيت الطهور	وحبة الروح البتول
الزهر يذبل كله	ورحيقه الباقى يزول
لكن زهرتك الأنيقة	ليس يدركها الذبول

«عرش المحبة»

ولقد كان هذا من حسن طالع " فاطمة الزهراء " .. فقد تربعت على عرش القلوب ، فضلاً عن عرش أبويها الذى استوت عليه منذ ولادتها .

(١) من شعر المؤلف .. ديوان لؤلؤ ومرجان .
(٢) كانت الزهراء (رضى الله عنها) أصغر بنات النبى (ﷺ) وخيرهن وأحبهن إليه .

وكفاها فخراً في الدنيا والآخرة : أنها " أم أبيهـا " فقـد أطلـق النبـى (ﷺ) عليها : أم أبيها وهى ابنته .. تعظيماً لها وإجلالاً لقدرها ، حتى قال (ﷺ) فيها :

" إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك ".

((مضى عهد النوم يا خديجة))

موعد مع الله

نعم ..

مضى عهد النوم وانتهى ..

ما إن بلغ " محمد " المنتهى ..

فلما بلغ النبى (ﷺ) الأربعين ، كان على موعد مع الله ، في غار حراء ، فقد كان يرى الضوء والنور ، ويسمع صوت النداء ولا يرى أحداً .

ثم صار يرى الرؤيا الصالحة ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلـق الصـبح فحبب إليه العزلة والخلوة ، وكان لغار حراء الشرف العظيم أن ضم هذا الصـرح الشامخ للإيمان ، وشهد الموعد المقدس للقاء الأرض بالسماء ، والنـور بـالتراب والملائكية بالإنسانية .. في لحظة من صفاء .. أراد الله به أن يخرج البشرية مـن الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى ، ومن الباطل إلى الحق ، على يـدى النبى المصطفى محمد (ﷺ) .

((الناموس))

وفي ذات ليلة مباركة من ليالى رمضان ، بينما كان " محمد " معتكفاً يتعبد في غار حراء ، وقد تلألأ قلبه ، وتسامت روحه ، انفض السر المكنـون ، وانكشـف الكنز المصون ، وجاء الأمين " جبريل " من السماء وبيده وعاء فيه كتاب .. فقال له :

- اقرأ .. !

قال " محمد " :

- ما أنا بقارئ .

فضغطه الملك ضغطاً شديداً ثم أطلقه .. وأعاد عليه قوله :

- اقرأ .. !

قال " محمد " :

- ما أنا بقارئ .

فضمه الملك حتى ظن " محمد " أنه الموت ثم أرسله . وقال :

- اقرأ .. !

فقال " محمد " :

- ما أنا بقارئ .

فضمه الملك حتى ظن " محمد " أنه الموت ثم أرسله . وقال :

- اقرأ .. !

قال " محمد " :

- وماذا أقرأ ؟!

قال الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم

((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) [1]

---

(١) (١-٥) سورة العلق .

«أم رءوم وزوج حنون»

وقرأ " محمد " ولما فرغ من القراءة انصرف الملك ، فخرج " محمد " من غار " حراء " حتى إذا كان بأعلى الجبل .. سمع صوتاً من السماء يقول :

– يا " محمد " أنت رسول الله ، وأنا " جبريل " .

فذعر رسول الله (ﷺ) وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء .

ورجع إلى " خديجة " مرتجف الصدر ، يعلوه الاضطراب ، اضطراب الخوف والحيرة .. وهو يقول :

– زمّلونى زمّلونى ..

فزملته السيدة " خديجة " حتى ذهب عنه الروع ، وهى متوجسة خيفة ، ثم رفع رأسه وقص عليها الخبر .. وقال :

– لقد خشيت على نفسى ..

فقالت بحنان الأمومة ورأفة الزوجة :

– كلا .. والله ما يخزيك الله أبداً .

إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

«قدوس قدوس»

ثم انطلقت " خديجة " إلى " بحيرى " الراهب فسألته عن " جبريل " فقال :

– قدوس ، قدوس ، يا سيدة نساء قريش ، أنى لك بهذا الاسم ؟

قالت " خديجة بنت خويلد " :

– زوجى " محمد " أخبرنى أنه يأتيه .

قال " بحيرى " الراهب :

- قدوس ، قدوس ، ما علم به إلا نبى مقرب ، فإنه السفير بين الله وأنبيائه وإن الشيطان لا يتمثل به ، ولا يتسمى باسمه .

«أنت خاتم الأنبياء»

ثم هرولت " خديجة " إلى " محمد " وأخبرته بما سمعت ، فلما هدأ روعه وأطمأنت نفسه ، انطلقت به " خديجة " حتى أتت " ورقة بن نوفل " ابن عمها .. فقالت له " خديجة " :

- يا ابن عم .. اسمع من ابن أخيك .

فقال له " ورقة بن نوفل ":

- يا ابن أخى ماذا ترى ؟

- فأخبره الرسول (ﷺ) بما رأى وما سمع .

فقال له " ورقة " :

« أبشر يا " محمد " : أنت خاتم الأنبياء الذى أخبر به " عيسى بن مريم " وهذا هو الناموس الذى أنزل على موسى ، يا ليتنى فيها جذعاً ، يا ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً » .

فقال رسول الله (ﷺ) :

- أو مخرجى هم ؟

قال " ورقة " :

- نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى .

- وإنك لنبى هذه الأمة .. فلتتثبت .

وكان " ورقة بن نوفل " مُلماً بالكتب السابقة ، وقد صدقت نبوءته ، وتحقق كل ما أخبر به " خديجة " .

ثم فتر الوحى بعد ذلك فترة ، فحزن النبى (ﷺ) حزناً شديداً ، وجعل يغـدو إلى رءوس الجبال ، فكان " جبريل " يظهر له في الأفق .. ويقول له :

– إنك نبى الله .

– فيسكن روعه ، وتطيب نفسه (ﷺ) .

وكانت : خديجة " تؤيده .. وتؤازره .. وتخفف عنه .. وتمسح عنـه الحـزن والألم بشفقة أم رءوم .

«فراسة خديجة "رضى الله عنها"»

قالت له ذات يوم :

– يا ابن العم ، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟

قال النبى (عليه الصلاة والسلام) :

– نعم .

قالت " خديجة " :

– فأخبرنى إذا جاءك .

فجاءه " جبريل " عليه السلام ، فقال رسول الله (ﷺ) :

– يا " خديجة " ، هذا " جبريل " قد جاءنى .

فقالت " خديجة " :

– نعم ، فقم يا ابن عم فاجلس عن يسارى .

فقام رسول الله (ﷺ) فجلس عن يسارها وتساءلت :

– هل تراه ؟

قال (عليه الصلاة والسلام) :

– نعم.

قالت " خديجة " :

- فتحول فاقعد عن يمينى .

ففعل ، فقالت :

- هل تراه ؟

قال (ﷺ) :

- نعم .

قالت " خديجة " :

- فتحول فاجلس أمامى .

ففعل ، فقالت :

- هل تراه ؟

قال رسول الله (ﷺ) :

- نعم .

فألقت خمارها ثم سألته ؟

- هل تراه ؟

قال :

- لا .

قالت " خديجة " :

- يا ابن عم : اثبت ، وأبشر ، فوالله إنه لملك وما هو بشيطان .

انظر إلى فراسة خديجة (رضى الله عنها) إنها تعلم أن الملك لا ينظـر إلـى المرأة إذا رفعت خمارها .. حياء من الله تعالى ويترك المكان .. ولكن الشيطان لا حياء له فاستطاعت أن تفرق بينهما حتى تُثَبِّت قلب النبى (ﷺ) بأن الذى يأتيه هـو جبريل عليه السلام .

((عودة الروح))

وعاوده الروح الأمين "جبريل " (عليه السلام) مرة أخرى ، وكان النبى (ﷺ) معتكفاً في غار "حراء" يسبح في بحر من نور الله ، متأملاً في ملكوت السموات والأرض ، فرآه على كرسى بين السماء والأرض ، وهو يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنْذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۞ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)) [1]

فما إن سمعت " خديجة " هذه الآيات المباركات ، حتى اهتزت خشوعاً لآيات الحق ، وأخذت تبشر الرسول (ﷺ) بفضل الله عليه حتى قال لها :

انتهى عهد النوم يا " خديجة " .

فلقد أمرنى الله أن أنذر الناس ، وأدعوهم إلى عبادته ، فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب فقالت " خديجة " بصوت الإيمان :

((أنا أول من تدعو .. وأول من يستجيب ..))

فكانت " خديجة بنت خويلد " أول من آمن بالله ورسوله ثم أسلم " أبو بكر الصديق " و " على بن أبى طالب " و " زيد بن حارثة " ، وتتابع نور الإيمان ، في كل مكان وزمان .

وظل النبى (ﷺ) يدعو إلى الله سراً ، حتى آمن بدعوته نفر قليل هم أصحابه وخاصته ، حتى نزل قوله تعالى :

((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)) [2]

فامتثل الرسول (ﷺ) لقول الحق سبحانه وتعالى ، وأظهر دعوته ، فكثر أنصاره واشتد إيذاء المشركين له ، وتكذيبهم لدعوته .

---

(١) (١-٧) المدثر .

(٢) ٩٤ الحجر .

فلما أصر على دعوته ، وتمسك برسالته ، اجتمع أشراف قريش ومشوا إلـى أبى طالب وقالوا له :

إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفَّه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافـه فتكفيه .

فقال لهم " أبو طالب " قولاً لينا ، وردهم رداً جميلا .

((الشمس في يمينى والقمر في يسارى))

ومضى رسول (ﷺ) على ما هو عليه من الدعوة جهاراً نهاراً ، حتى اشتعلت نار حقدهم .. وتأججت كوامن مكـرهم ، فعظـم علـى " أبـى طالـب " فـراق قومه ، وعز عليه خذلان ابن أخيه ، فكلم محمداً في أمرهم فظن النبى (ﷺ) أنه قد بدا لعمه تركه والعجز عن نصرته فقال :

((يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يمينى ، والقمر في يسـارى علـى أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)) .

– ثم قال رسول الله (ﷺ) باكياً .

وكانت لمحمد (ﷺ) مكانة رفيعة في قلب " أبى طالب " فلم يكد يراه حزينـاً حتى هرع إليه وأدركه .. وقال له :

– يا ابن أخى : قل ما أحببت .

– فوالله لا أسلمك لهم ولا أمكنهم منك أبدا .

– فلما جاءوا ، قال لهم " أبو طالب " :

– والله لن أتخلى عن ابن أخى ولن أتركه لكم أبداً .

((وزيرة الإسلام الأولى))

وفي وسط هذه المعركة .. كانت " خديجة " تعمل في ثبات وعزم وجلد .. ليلاً ونهاراً .. سراً وجهاراً ، من أجل أن تعلو كلمة الحق في سماء مكة ، فترفرف في شتى ربوع الأرض .

مدت " خديجة " يدها تمسح بها عن قلب " محمد " (ﷺ) أحزانه وهمومه وتواسيه .. وتشجعه .. وتبشره بالنصر والظفر .

وفتحت خزائنها للمسلمين ، وبذلت أموالها من أجل إعلاء كلمة الحق واشترت المعذبين من العبيد وأعتقتهم ، وحررت الجوارى من أيدى المشركين ، ووقفت بروحها وقلبها تذود عنه ، وتثبته وتربط على قلبه ، فيزول ما به ، ولا عجب فى هذا .. فلقد كانت وزيرة الدولة الإسلامية الأولى .

((وما زادهم إلا إيمانا وتسليما))

وكان من أذى قريش واضطهادها للنبى (ﷺ) وأتباعه ، أن فرضوا حصاراً حول شعب أبى طالب ، وكتبوا صحيفة ظالمة .. علقت في جوف الكعبة .. بمقاطعة بنى هاشم ، حتى يسلموا " محمداً " (ﷺ) للقتل ، وظلت " خديجة بنت خويلد " " ومحمد " (ﷺ) وبنو هاشم محاصرين في الشعب ثلاثة أعوام ، ذاقوا فيها مرارة الحرمان فأكلوا السمر وأوراق الشجر ، وربطوا الحجارة على بطونهم من شدة الجوع والظمأ .

وكانت السيدة " خديجة " شديدة الإيمان ، تشد من أزرهم ، وتحثهم على الصبر والثبات ، فقد كان إيمانها كالطود الشامخ ، لا تزلزله المحن ، ولا تؤثر فيه الفتن .

وأمام هذا الإصرار .. وتلك العزيمة .. تهاوى الحصار .. ونقضت الصحيفة وخرج المسلمون أقوى إيماناً ويقيناً ، ((وَمَا زَادَهُمْ إلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً)) [1] .

---

(1) ٢٢ الأحزاب

وفي الخامسة والستين من عمرها .. خرجت السيدة " خديجة " وقد أنهكها المرض ، وأحست برعشة في جسدها الطاهر ، وشعرت بفتور اعتراها ، فنظرت في ابتسام إلى النبى (ﷺ) وقد أرادت ألا تشعره بمرضها فيحزن .. بل قالت :

سينصرك الله .. يا رسول الله ، لن يطفئوا نور الله ، ولن يترك الله نوره ، سيتم الله نوره ولو كره الكافرون .

فلما اشتد الألم ، اغرورقت عيناه بالدموع .. وانتابته الشجون .. وتحركت شفتاه بالدعاء .

وهنا نظرت إليه .. وهمست بصوت خافت :

– هل تقبل الله منى يا رسول الله ؟

فيغمض النبى (ﷺ) عينيه .. ليخفى ما ترقرق من دموع ، ثم يقول مبتسماً :

رضى الله عنك ، وأعد لك جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وبنى لك قصراً في الجنة من أنابيب الجوهر ، وقوارير اللؤلؤ .

ولكن المرض كان يشتد ساعة بعد ساعة ، ورسول الله في شدة ، وبناته من حوله في بكاء صامت ، وجماعات المسلمين الذين ملأوا الدار ، والفقيرات والمساكين الذين كانوا يعيشون في نعمة " خديجة " وإحسانها ،الكل يبكى " خديجة " " خديجة " البر " خديجة " الخير " خديجة " الإيمان .

وخرجت مكة كلها حول بيت " خديجة " المحبون .. الشامتون .. يسألون عن أخبار " خديجة " والرسول (ﷺ) وحوله بناته يحيطون بفراشها ، وهى تسير إلى الأجل المحتوم ، وتعالج سكرات الموت .

وفى الهزيع الأخير من الليل ، والقلوب ترتجف ، والأنفاس تختنق والأرواح ترفرف ، فتحت " خديجة " الطاهرة عينيها ، ونظرت إلى بناتها واحدة واحدة ، ثم

اتجهت ببصرها إلى حبيب القلوب محمد (ﷺ) فملأت عينيها من جماله وكماله وجلاله .. ثم أغمضتهما إلى يوم القيامة [1] .

ماتت " خديجة " بعد موت " أبى طالب " بثلاثة أيام ، ففقد النبى (ﷺ) الركنين الركينين وتوالت على رسول الله (ﷺ) بعدهما .. مواكب الأحزان .. وسحائب الآلام .

عاش الرسول (ﷺ) بعد " خديجة " في غربة ووحشة ، فقد كانت أنسه وملاذه وسنده ومعاذه ، ولم يتزوج عليها وهى حية ، ولم يتزوج إلا بعد أن ماتت بثلاثة أعوام .

– وقال عنها :

" إنها سيدة نساء العالمين " .

« أكمل النساء »

وكان لا يخرج من بيته (ﷺ) حتى يذكرها ، ويثنى عليها ، حتى قالت " عائشة " الصديقة رضى الله عنها :

كان رسول الله (ﷺ) لا يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ، فيحسن الثناء عليها وكان إذا ذبح الشاة .. يقول :

أرسلوا إلى صديقات " خديجة " ، فذكرها يوماً من الأيام ، فأخذتنى الغيرة فقلت :

" كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة "

" هل كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها ؟ "

فغضب رسول الله (ﷺ) غضباً شديداً ..

---

(١) دفنت السيدة خديجة (رضى الله عنها) بالحجون بمكة ونزل النبى (ﷺ) إلى حفرتها .. ووسدها التراب الطيب ، ودعا لها ، وطويت أطهر صفحة في حياة النبى (ﷺ) وفى تاريخ الإسلام .

وكان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله ..

– ثم قال :

" والله ما أبدلنى الله خيراً منها ..

* لقد آمنت بى إذ كفر الناس ..
* وصدقتنى إذ كذبنى الناس ..
* وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ..
* ورزقنى الله منها الولد دون سائر النساء .

– فقالت عائشة :

فقلت في نفسي :

" لا أذكرها بعدها بسببه أبداً " .

– قلت : يا رسول الله استغفر لى ..

– قال : لا .. حتى تستغفرى لخديجة .

«الوفاء من الإيمان»

ولقد كان (ﷺ) وهو نبى الوفاء .. يغتنم كل فرصة ليستحضر روحها ، فكان يعطى مواليها ، ويصل صديقاتها ، ويبر حبيباتها ، وذات يوم سمع صوت " هالة " وهو في بيته فقال (ﷺ) وهو يبكى :

" هالة ورب الكعبة ..

كانت تأتينا أيام خديجة .. "

– وكان يذبح الشاة ويقول :

" أرسلوا إلى صديقات " خديجة " ، فإنى أحب حبيباتها " .

– ويقول :

" الوفاء من الإيمان .. "

خديجة (رضى الله عنها)

تـــاج القداســـــة والجــــلالْ ... وعـــرائس الحســـن الغـــوالْ
وكواكـــب الشـــرف الرفيـــع ... تـــدق أبـــراج الكمـــالْ
والحســـن عـــرش لا يضـــاهى ... مـــن أســـاطين الجمـــالْ
والـــورد تـــاج مـــن حيـــاء ... قـــد تمثـــل فـــي غـــزالْ
والبـــر كنـــز زاخـــر ... فـــي مهجـــة مثـــل الهـــلالْ
والنـــور هـــالات تـــدلت ... كالعناقيـــد الـــدوالْ
ينســـاب باقـــات عليهـــا ... فـــي ثيـــاب مـــن غـــلالْ
وكأنمـــا عـــرش الأهلـــة ... قـــد مشـــى فـــي " كرنفـــالْ "
والعـــز ملـــك يمينهـــا ... وجميـــع مـــا تبغـــى تنـــالْ
والطهـــر تـــاج جميلـــة ... تثـــرى بـــه عـــرش الجـــلالْ
والمـــال لا يحصـــى بحـــال ... والجمـــال ذرا الجمـــالْ
والعفـــة الزهـــراء درع ... للجمـــال مـــن الـــدلالْ
والعقـــل يســـتبق النهـــى ... برزانـــة تـــزن الجبـــالْ
والـــرأى ســـهم صـــائب ... بـــالحق فـــي الأمـــر العضـــالْ
وهـــى الحســـيبة فـــوق كـــل ... حســـيبة وبـــلا مثـــالْ
والكـــل يســـعى خاطبـــاً ... ود العفيفـــة فـــي ابتهـــالْ
لكـــن بنـــت خويلـــد ... تســـمو إلـــى خيـــر الرجـــالْ
فجمـــال روض خديجـــة ... يزهـــو بـــه زهـــر الخصـــالْ
رأت النجـــوم ببيتهـــا ... والشـــمس تعتنـــق الهـــلالْ
والبـــدر تـــمَّ كمالـــه ... وتمامـــه قبـــل الـــزوالْ
هـــذا محمـــد الأمـــين ... تـــراه فـــي عـــين الخيـــالْ

زوجـــاً بـــه تســـمو الحيـــاة ويزدهـــى عقـــد الكمـــالْ

قـــد أرســـلته علـــى تجارتهـــا فصـــال بهـــا وجـــالْ

وأتـــى لهـــا بأمانـــة مثلـــى وتشـــريف ومـــالْ

والنـــاس تلهـــث فـــي الهجيـــر وتســـتجير ولـــم يبـــالْ

فـــالله أرســـل غيمـــة نثـــرت علـــى الهـــادى الظـــلالْ

بنســـيمها وصـــفائها تبعتـــه فـــي كـــل ارتحـــالْ

قـــد شـــاقها منـــه اكتمـــال طهـــارة قبـــل الجمـــالْ

وتهزهـــا منـــه الأمانـــة فـــي المقـــال وفـــي الفعـــالْ

ويـــدق قلـــب " خديجـــة " والحـــب يســـتبق المحـــالْ

طلبـــت يديـــه مـــن الســـماء وكـــان أشـــبه بالخيـــالْ

وســـمت لنـــور " محمـــد " ترجـــوه زوجـــاً فـــي الحـــلالْ

فيجيـــب مولاهـــا الـــدعاء وقـــد بـــدا صـــعب المنـــالْ

" فمحمـــد " و " خديجـــة " زوجـــان مالهمـــا مثـــالْ

فـــإذا ذكـــرت محاســـناً فهمـــا المحاســـن لا جـــدالْ

الأم ســـيدة النســـاء وزوجهـــا خيـــر الرجـــالْ

بـــالنور تفعـــم قلبهـــا فتنـــول مـــا قـــد لا ينـــالْ

قـــد أنجبـــت خيـــر النســـاء وخيـــر أربعـــة غـــوالْ

أمثـــال فاطمـــة البتـــول وأم كلثـــوم الجمـــالْ

ورقيـــة النـــور الوضـــيء وزينـــب ذات الكمـــالْ

فتـــألق النـــور المهـــيمن ســـاجياً بـــين الـــتلالْ

فأضـــاء مكـــة كلهـــا واجتـــاز آفـــاق الخيـــالْ

وتفجـــرت فـــي هـــذه الصـــحراء عـــين مـــن زلالْ

إن كـــان صـــوت الشـــر أصـــبح رائـــداً فـــي كـــل ضـــالْ

فلقــد دنــا ركــب انتصــار الحــق والــدنيا ســجالْ
فتحــوم روح " محمــد " نحــو الخــلاء والاعتــزالْ
" وحــراء " يوشــك أن يطيــر ســعادة فــوق الجبــالْ
لتقــام فــي بطحــاء مكــة قلعــة تمحــو الضــلالْ
يــا يــوم أن جــاء النبــى الغــار فــي أســمى الجبــالْ
وأتــاه جبريــل الأمــين الــوحى مــن رب الجــلالْ
ورآه أجنحــة تطــوف مــن اليمــين إلــى الشــمالْ
ويهــزه هــزاً شــديداً وهــو يــدعو فــي ابتهــالْ
أقــرأ محمــد باســم ربــك ذى الجــلال وذى الكمــالْ
فيعــود مرتجفــاً تلاحقــه الظنــون بــلا ابتــذالْ
يمشــى علــى وجــل تــدور خطــاه فــي غيــر احتمــالْ
يمشــى ولا يمشــى بهــن كمــن يســير علــى الرمــالْ
ودعــا خديجــة زملــونى إنهــا آى ثقــالْ
ويقــص قصــة بعثــه والــزوج تســبح فــي الخيــالْ
وتقــول : لا والله لا يخزيــك ربــك ذو الجــلالْ
أنــت الــذى كفــل اليتــيم وكــان مقطــوع الوصــالْ
ووصــلت أرحــام العبــاد علــى الهــدى فــي كــل حــالْ
وحملــت كــلاً مســتجيراً شــفه ألــم الهــزالْ
ورعيــت محتاجــاً فقيــراً آده ثقــل العيــالْ
وأقمــت معــدوماً ضــعيفاً كــان فــي عمــر الــزوالْ
ورفعــت ضــيفك للعــلا فأقمــت عــزاً لا ينــالْ
وأعنــت فــي الحــق الضــعاف فأنــت محمــود الخصــالْ
أنــت الــرحيم بكــل مــا يحــوى شــذاها مــن جمــالْ

يا من تعين على النوائب ... دون من أو كلالْ
قم " يا محمد " لابن عمى ... كى يجيب على السؤالْ
أخذته معها " لابن نوفل " ... في سنا خير الليالْ
كى تمسح الأوهام عنه ... فيستطيب لما يقالْ
فأتاه " نوفل " باليقين ... وقال في أسمى مقالْ
هذا هو الناموس يا ابن ... العم آت لا محالْ
أنت النبى المرتجى ... يمحو الإله بك الضلالْ
يا ليتنى أحيا لنصرك ... حين يخرجك الرجالْ
قال الرسول : أمخرجى؟ ... فقال " نوفل " لا جدالْ
لتكذبن وتؤذين ... وتحملن على القتالْ
عادا ونور الحق أشرق ... بعد أن ولد الهلالْ
يا سعدها من زوجة ... سبقت بواقعها الخيالْ
أهو الرسول وبعثه ... بالحق يوشك أن ينالْ
وتحل بعثة " أحمد " ... فتهب سعياً للنضالْ
أعطته ما ملكت يداها ... من إمارات ومالْ
وجميع ما يزجى إليها ... من مفاتيح النوالْ
وتجارة كانت لها ... أعيت حمولتها الجمالْ
دفعت بهذا كله ... للدين لا تخشى النكالْ
وبنفسها وشبابها ... لم تخش عاقبة القتالْ
أم حنون ترتقى ... لأمومة .. أنى تطالْ
زوج كريم يرتجى ... ليزين واجهة الجمالْ
أم وزوج .. ما ترى ... تفنى له في كل حالْ
فهى الأمومة حينما ... تسمو إلى قمم الكمالْ

ترعـــى لأحمــــد حقـــــه وتـــذود عنــــه بكــل غـــالْ

قـــد صـــدقته بأصـــغريها حـــين كَذَّبَـــــه الرجـــالْ

فأحبهـــا حبـــا تـــزول لــــه الجبــــال ولا يـــزالْ

فالشـــمس تشـــرق كـــل يـــوم ثـــم تغـــرب لا محـــالْ

لكـــن شــــمس " خديجــــة " تــأبى الغــروب أو الـــزوالْ

فـــوراء ركـــب الخالـــدين كواكـــب الحســـن الغـــوالْ

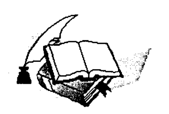
يـــا أيهـــا الحصـــن الحصـــين وذلـــك البحـــر الـــزلالْ

يـــا أيهـــا الـــركن الـــركين وذلـــك الصـــرح المحـــالْ

أنـــت الـــوزيرة والـــوزير ولا تـــزال ولا يـــزالْ

وركيـــزة الإســـلام أنـــت وركنـــه قبـــل الرجـــالْ

نعـــم الـــوزارة أنـــت يـــا نعـــم النســـاء بـــلا جـــدالْ



زينب الكبرى

رضى الله تعالى عنها

« كنت ذكرت زينب وضعفها ، فسألت الله تعالى أن
يخفف عنها ضيق القبر وغمه ففعل ، وهون عليها »
" حديث شريف "

كواكب ونجوم

قمرٌ وشـــمسٌ أم عقــودُ كواكــبِ ... أمَّن تسيرُ على التــرابِ ككوكــبِ
أمَّن تهاجرُ تحتَ أجنحــة اللظــى ... والشوكُ يفترشُ الطريــق ليثــربِ
أمَّن تهاجر كالبلابلِ فــي الســما ... حتى ترفرف كالــذبيحِ أو الســبى
أمَّن تهاوى نجمهــا فــي هجــرةٍ ... أم من تكونُ كزينبٍ بنــت النبــى
أولى قوارير الحبيــبِ المصــطفى ... وسليلةُ البيــتِ الشــريفِ الطيــبِ
فاسبح ببحر النورِ فــي صــلواتها ... واسق الحيارى من سناها واشربِ
فهى اختيار الصــالحين وخيــرهم ... ومــآلهم والمجتبــى والمجتبــى
وهى النعيمُ لكــل صــاحبِ نعمــةٍ ... والراحـــةُ الكبــرى لكــلِ معــذبِ
وهى السعادة عنــد كــل شــقاوةٍ ... وهى النعــيمُ لكــل قلــبٍ متعــبِ
وهى البدايــة عنــد كــل مقــربٍ ... وهى النهايةُ عنــد كــل منســبِ

تاج الدين نوفل

« زينب الكبرى »

أولى بنات المصطفى (ﷺ) وأول من رأت عينه ، وأول زهرة تفتحت في البيت النبوى الشريف .. وخلاصة الطهر والعفاف .. للنبى (ﷺ) وزهرة شبابه وقرة عينه .

بلغت شهرتها الآفاق .. وتجاوز نجمها الأفلاك .. واتسعت مكانتها في القلوب في شتى بقاع الأرض .. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولدت كما تولد الزهور .. وماتت كما تموت الطيور .

ولم تكن قد بلغت العاشرة من عمرها حين تهافتت عليها القلوب ، ورنت إليها العيون من سادات قريش ، وتنافست بيوت مكة لمن تكون له .

ولكن القدر كان قد أعدها .. وأعد لها .. رجلاً من رجال مكة المعدودين شرفاً ونسباً .. قد أتاحت له قرابته من " خديجة " أن يدخل إلى البيت النبوى ويخرج كيفما يشاء .. فيزرع الحب والمودة في قلب خالته " خديجة " ، وابنة خالته " زينب " .. التى أُخذ بجمالها وعذوبتها وحنانها .

أخذ " أبو العاص بن الربيع " هذا الفتى النبيل في التقرب يوماً بعد يوم .. من خالته " خديجة " ومن ابنتها " زينب " عروس الغد .. حتى كان اليوم الذى تقدم فيه لخطبتها من أبيها (ﷺ) وخالته (رضى الله عنها) .

ولما كان رسول الله (ﷺ) لا يقطع أمراً في زواج بناته دون أن يرجع إليهن .. قال له :

" نعم الصهر أنت يا أبا العاص " ولكن أمهلنى حتى أعلنها برغبتك هذه .. وقام النبى (ﷺ) إلى ابنته " زينب " في غرفتها بحيث تسمعه ولا تراه ، حتى لا يخدش حياءها .. وقال في رفق وأناة :

" ابنتى زينب ، إن ابن خالتك أبا العاص بن الربيع قد ذكر اسمك " .

ولم ينتظر جوابا .. فقد كان يعلم أن حياءها سيمنعها من الإجابة .. فترك هذا إلى أمها " خديجة " .. وإن أحس بخفقان قلبها وشم عبير أنفاسها ، فما كان من

" خديجة " (رضى الله عنها) إلا أن خرجت إليه بالبشرى .. ليزفهـا إلـى أبـى العاص ، فصافحه مهنئاً ومباركا .

وطار النبأ السعيد في أرجاء مكة .. فسـعدت لـه قلـوب .. ووجمـت لـه قلوب .. فقد سعدت قلوب بنى الخالة .. ووجمت قلوب بنى العـم .. فقـد كـانوا يرون : أن بنى العم أولى بالعروس الهاشمية ممن سواهم .

وعلى الرغم من هذا .. فلم يذمه أحد .. بل أثنوا عليه خيراً :

((نعم الصهر هو ..))

ولا غرو في هذا فهو قرشى حر ، يلتقى نسبه من جهة الأب مع " محمد بـن عبدالله " عند " عبد مناف بن قصى " فهو " أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى " .

ويلتقى نسبه من جهة الأم مع زينب بنت " محمـد " عنـد جـدهما الأدنـى " خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، فأمه " هالة بنت خويلد " أخت خديجـة الطاهرة ، زوج محمد وأم زينب .

وإلى جانب هذا الأصل العريق والنسب الطاهر ، كريم الخصال ، نبيل الفعال حتى لقبه قومه بالأمين ، كما لقبوا " محمد بن عبدالله " .

ولقد أتاحت له .. ثقة الناس في أمانته واطمئنانهم إليه ، أن يصبح من وجهاء القوم وأثرياء مكة .

((العروس الهاشمية))

ولأول مرة يتأهب البيت النبوى للعروس .. وترفرف البهجة بأجنحتهـا فـي سماء البيت وقد أرسل " محمد " في طلب الطيب والعطور ، وكل ما يتطلبه العرس وما يصلح للعروس .

وكان في بيت أبى العاص .. كما في بيت " محمد " من البهجة والسرور .. ويزيد على ذلك النشوة الكبرى التى يعيشها " أبو العاص " بقرب زفاف شقيقة روحه إليه .. وحبيبة قلبه الغالية المباركة .. ابنة السيدة المباركة .. والسيد المبارك .

وفي ليلة مباركة صفت سماؤها ، ورق هواؤها ، بدت " زينب " فيها رائعة الجمال ، حاضرة البهاء ، زاهرة الطلعة ، في جلوة بهيجة ، يحيط بها القوم وقد أخذوا زينتهم ، ليواسموا العروسين حسناً وجمالاً ، حتى لتظن " زينب " في جمع الحاضرين قمراً تحيط به الكواكب والنجوم .

وباركت مكة كلها هذا الزفاف السعيد ، وهى تزفهما إلى البيت الجديد .. وقد نحرت الذبائح ، وأقيمت الولائم ، بهجة بهذا الحدث العظيم .

وأقامت " زينب " وزوجها " أبو العاص بن الربيع " في سعادة غامرة وهناء موفور ، لا تكدره شائبة .. اللهم إلا بعض الفترات الموحشة التى كانت تنتاب " زينب " إثر غياب زوجها في رحلاته التجارية .. تاركاً زهرة عمره في مكة .

فكانت " زينب " تستعين على وحشتها ووحدتها بزيارة البيت الشريف .. بيت أبيها " محمد " وأمها " خديجة " تستعيد ذكرى طفولتها الهنيئة ، وصباها السعيد مع أخواتها ، وتتزود من نور أبيها البهى ، ومن حنان أمها الأثير .. حتى يعود زوجها من رحلته سالماً غانماً .. لتزف إليه بشرى جنين يتحرك في أحشائها .. برفق وتؤدة .. وتضع " زينب " وليدها الأول " على " فيملأ حياتهما بهجة وسروراً .

وفى يوم من الأيام المباركة .. تضع زينب وليدتها " أمامة " كما سماها جدها ، ليكونا لهما قرة عين ، وأنساً يبدد وحشتهما ويؤنس وحدتهما .

«والله لا يخزيك الله أبدا»

وذات يوم خرجت " زينب " مبكراً لزيارة بيت أبيها .. فوجدت أمها عائدة من الخارج مشغولة حتى عنها ، وما عهدتها تنشغل عنها أبداً .. ودخلت " خديجة " على زوجها ، وأسرت إليه بحديث ، ثم علا وجهها البشر ، وعاد إليها الهدوء

والسكينة ، ونظرت إلى " زينب " وقد شاهدت عليها الاضطراب مما رأت .. فأرادت أن تخفف عنها بالمداعبة ثم بالحديث عن الأمر الخطير .

وأصاخت " زينب " إلى أمها ، وهى تقص عليها قصة نزول الوحى على أبيها المصطفى (ﷺ) وهى سابحة في بحر خيالها ، فاغرة فاها ، وقلبها يرجف خوفاً على أبيها المصطفى (ﷺ) حتى أعادتها فاطمة إلى سكونها بقولها :

– أو ما يسرك يا أختى أنك بنت نبى هذه الأمة ؟

قالت رقية وقد بدت عليها السكينة :

– أجل .. والله يا فاطمة ، وأية فتاة لا يزدهيها هذا الشرف الذى ما بعده شرف ؟ لكنه الذى سمعت وسمعت من قول خالى " ورقة " :

ليكذبن أبى ، وليؤذين ، وليخرجن ، وليقاتلن !

ففكرت " فاطمة " ملياً وقد عز عليها أن يؤذى أبوها .. ثم رفعت وجهها وقالت لأختها :

– هو والله ما قالت أمى لأبى :

" كلا والله لا يخزيك الله أبدا :

إنك لتصل الرحم ..

وتصدق الحديث ..

وتؤدى الأمانة ..

وتحمل الكل ..

وتقرى الضيف ..

وتعين على نوائب الحق " .

((ظهور النبى المنتظر))

طار خبر الأخبار .. في كل ناد ودار .. يحمل ظهور نبى جديد ، يدعى " محمد بن عبدالله " فعاد " أبو العاص " من رحلته يسأل " زينب " زوجته عن الخبر .. فقالت له :

هو ما تقول يا أبا العاص ، ووجهها يفيض بشراً وفخراً .. فما أسكتها إلا الصمت الذى خيم على وجه " أبى العاص " .

فسألته :

– ما بك يا ابن الخالة ؟ .

قال وقد أوجس خيفة :

– إنى خائف يا " زينب " .

وأخذ يهمس كمن يحدث نفسه :

– لو اتبعته .. لقال القوم :

فارق دين آبائه إرضاء لزوجه وحميه ، ولو خالفته ..

فلم تدعه " زينب " يكمل ما بدأ .. بل قاطعته في أدب قائلة :

– لكنك لن تدع كلام القوم يثنيك عن الحق .

ثم استجمعت شجاعتها قائلة :

– وأنا بعد قد أسلمت يا ابن الخالة .

فقال وقد أدهشه النبأ :

– أو قد فعلتها يا زينب ؟

قالت في ثقة وإيمان :

– ما كنت لأكذب أبى ، وإنه والله لكما عرفت :

.. الصادق .. الأمين ..

قال أبو العاص : .. ثم ماذا يا زينب ..؟

قالت :

– وكذلك أسلمت : أمى " خديجة " وإخوتى ، وعلى بن أبى طالب ، وأبو بكر وأسلم من قومك : ابن عمك عثمان بن عفان ، وابن خالك الزبير بن العوام .

فقال أبو العاص وكأنه لم يسمع شيئاً :

– وهل فكرت يا زينب حين تبعت دين أبيك ، فيما يحدث لو بقيت أنا على دين آبائى ؟

فأومأت تقول :

– كلا يا ابن الخالة ، بل رجوت الله أن تسبق إلى الإسلام .. كما سبق إليه من

قومك : عثمان والزبير .. فأشاح بوجهه عنها وخرج إلى دار الندوة .. وبقيت هى واجمة مطرقة ، تدعو الله أن يشرح صدره إلى الإسلام .

وعاد إليها متأخراً .. تبدو عليه الكآبة .. وهو يقول :

– لقيت أباك اليوم في الكعبة .. يا زينب .. ودعانى إلى الإسلام .

وأحست زينب من ملامحه بالكآبة .. فأحست بالجواب ..

وتمر الليالى مثقلات على الزوجين الحبيبين .. وقد كـن كالأطيـاف يـذهبن سراعاً .. فأراد أبو العاص .. أن يكسر تلك الكآبة ، ويرفع حاجز الصمت الرهيب الذى خيم على البيت الكريم .. الذى شهد أروع معانى الحب والسعادة فقال :

– والله ما أبوك عندى بمتهم ، وليس أحب إلـىّ مـن أن أسـلك معـك يـا حبيبة .. في شعب واحد ، لكنى أكره لك أن يقال : أن زوجك خذل قومـه وكفـر بآبائه إرضاء لامرأته ، فهل قدرت وعذرت ؟

فلم تملك " زينب " عينيها من الدمع ، وإن ظلت صامتة لا تتكلم .. على أمـل يراودها في إسلامه .. قد علقتها به أمها " خديجة " (رضى الله عنها) .

وعلى الجانب الآخر اشتدت قريش في عداوتها للرسول وأصحابه .. بـالأذى والاضطهاد ، والمقاطعة التى استمرت ثلاثة أعوام عجاف ، وشملت بنـى هاشـم وبنى عبد المطلب : لأنهم أبوا أن يسلموا إبنهم إلى أعدائه ليفتكوا به .

ولم تكن " زينب " فيمن خرج إلى الشعب ، وإن كانت تأتيها أخبارهم في بيتها أولاً بأول حتـى كـان اليـوم الـذى انتهـى فيـه الحصـار ، ونقضـت فيـه الصحيفة .. لتنتهى الغمة .

((موت النصيرين))

ولم تكد تنتهى الغمة .. ويسدل عليها الستار .. حتى ارتفع الستار عـن غمـم أخرى .. لا يبدو لها من خلاص .

ماتت " خديجة " وزيرة الإسلام الأولى ..

ومات " أبو طالب " حامى حمى النبى (ﷺ) ..

فأشرق بغروب شمسهما .. أمل المشركين في القضاء على محمد وأصحابه وعادت معركة الاضطهاد من جديد .. بعد أن فترت عقب فك الحصار .. أشد ضراوة واضطهاداً .

« عودة الطيور المهاجرة »

وبدأت أسراب الطيور المطاردة .. في الهجرة المباركة .. فراراً بدينها من الفتنة والأذى .. ولم يبق بجوار النبى (ﷺ) غير على بن أبى طالب ، وأبى بكر الصديق (رضى الله عنهما) .

وبدأت قريش تخطط لقتل محمد (ﷺ) وتعد العدة لذلك .. " وزينب " ترتجف خوفاً على أبيها .. فلم يغمض لها جفن .. ولم تقرب زاداً .. حتى جاءتها البشرى بوصول أبيها المصطفى (ﷺ) إلى دار الهجرة سالما من أذى قريش ، بعد مطاردة عنيفة من كفار قريش باءت بالفشل .

ثم جاء رسول من يثرب يحمل " أم كلثوم " و " فاطمة " ومن قبل هاجرت " رقية " مع زوجها " عثمان بن عفان " وبقيت " زينب " وحدها دونهن في دار " أبى العاص " بمكة .. تنظر ذات اليمين وذات الشمال فلا تجد مؤنساً إلا الله ... فقد أغلقت الدار التى جمعت بين هذه الأزهار في إناء واحد .. " زينب " و" رقية " و " أم كلثوم " و " فاطمة " و " القاسم " و " الطيب " و " الطاهر " و " عبدالله " في أيام بهيجة .. بين " محمد " و " خديجة " .

ولم يطفئ هذا الشوق .. ولم يرو هذا الظمأ .. إلا يوم أن خرجت " زينب " إلى قبر أمها " خديجة " تروية بدمعها .. فعادت بالسكينة .. وأحست بالأمان .

« بين نارين »

ولم تكد " زينب " تستكين .. حتى تتابعت الأخبار من هنا وهناك .. عن مؤازرة الأنصار للنبى (ﷺ) وعن تربص أصحابه بقريش .. ليقطعوا طريقها بين

مكة والشام ، وأن جماعة منهم قد ظفرت بعير تحمل تجارة لقريش ، فيها " عمرو بن الحضرمى " الذى تركوه صريعاً ، وعاد المسلمون إلى يثرب بالعير والأسرى .

ولم ينم أهل مكة في هذه الليلة .. وهم بين حائر ومرتاب في أمر هـذه القلـة المغتربة العزلاء .. حتى روعوا بعودة " ضمضم بن عمـرو الغفـارى " وكـان مسافراً في تجارة مع أبي سفيان ، وقد وقف على بعيره ، وحول رحلـه ، وشـق قميصه ، وصاح مستنفراً :

يا معشر قريش ! اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى لكم أن تدركوها ..

الغوث .. الغوث .. !

فخرجت قريش على بكرة أبيها تجيب المنادى وتقول :
أيظن " محمد " وأصحابه أن تكون عير أبى سفيان كعير " ابن الحضرمى " ؟
كلا والله ليعلمن غير ذلك !
وبدأت الحرب تدق طبولها ..

وأدركت " زينب " أنها الحرب بين " قريش " والمسلمين .. وهـاهو زوجهـا " أبو العاص " في الصفوف الأولى في طليعة المشركين .

وهاهو أبوها " محمد " رسول الله (ﷺ) في الصفوف الأولى .. فـي طليعـة المسلمين .

وقضت زينب ليلة من الآلام والأحزان .. تعادل ألف عام .. تسائل نفسـها : هل سيموت زوجها فتكون في الأرامل ؟! أم يموت أبوها فتكون في الأيتام ؟!

ولمن تكون الغلبة والنصر .. ؟ ولمن تكون الهزيمة والخزى .. ؟

وهى بين ذلك شاخصة واجمة .. تخاف على أبيها القتـل .. وتخشـى علـى زوجها الموت ، تتمنى لأبيهـا النصـر .. وترجـو لزوجهـا الحيـاة .. تقـف حيناً .. وتجلس حيناً .. وتستلقى حيناً .. والأرق يعبث بها كما يشـاء .. والقلـق يحاورها دون رجاء .. ثم تقع عينها على صغيرتها " أمامة " وهـى نائمـة فـي استرخاء .. فتدنو منها وهى تجهش بالبكاء .. ثم تهمس والحزن يكاد يعتصرها :

- بنيتى .. " أمامة " .. !

" لن تطلع علينا الشمس إلا وإحدانا يتيمة " .
ثم تنظر إلى ابنها " على " وهو نائم على فراشه وتقول له :
– يا على .. لن يطلع علينا الصباح .. إلا بالآلام والجراح .
– ثم أطرقت !!!
وقد تحجر الدمع في عينيها ..
واستسلمت لقضاء الله .

– وقد أصمت أذنيها .. حتى لا تتسمع الأخبار من هنا أو هناك .. فأيـاً مـا كانت الأخبار .. فليس أمام زينب إلا الأحزان والآلام ..

إما يموت زوجها فتصبح في الأرامل ..
وإما يموت أبوها فتصبح في الأيتام ..
وهكذا الأيام !!!

«فرحتان»

وبينما هى كذلك تطارد الأوهام .. وتنأى بنفسها عن تتبع الأخبار .. إذ جاءتها عمة أبيها .. " عاتكة بنت عبد المطلب " بالبشرى قائلة :

– أو ما بلغك النبأ العجيب يا زينب ؟
فقالت زينب أي نبأ هذا .. الذى تحملين ؟!
فأسرعت العمة قائلة :
– انتصر " محمد " في قلة من أصحابه .. على قريش في كثرتها وعدتها .
فانتفضت " زينب " انتفاضة البشرى هاتفة :
– انتصر أبى !؟
– وافرحتاه !

ثم تذكرت فجأة زوجها " أبا العاص " فانطفأت ابتسامتها .. وشـحب وجههـا وضمت طفلتها " أمامة " واحتضنت ابنها " على " وهى تبكى .

– لكن العمة زفت إليها البشرى الثانية .

لم يقتل أبو العاص .. بل وقع في أسر النبى الكريم (ﷺ) ضمن من وقع من الأسرى ، عندئذ تعلقت " زينب " بعنق عمتها .. تقبلها بدموع البشرى .. ثم سكنت على صدرها مجهدة تستريح فقد فرحت مرتين من حيث لا تـدرى فقـد أيقنـت الحزن .. فجاءها فرحاً ، ورجَّحت الأسى .. فجاءها بشرى .

((ذكرى وفداء))

وسيق أسرى بدر إلى يثرب ، فتأملهم النبى (ﷺ) ثم نحى عنهم صهره " أبـا العاص بن الربيع " وفرق الباقين بين أصحابه وقال :

" استوصوا بالأسارى خيراً "

وبقى " أبو العاص " عند النبى (ﷺ) حتى جاءت رسـل قـريش فـي فـداء أسراها .. وتغالوا في الفداء .

وتقدم " عمرو بن الربيع " أخو " أبى العاص " وقد أرسلته " زينـب " بفـداء زوجها .. فتقدم من رسول الله (ﷺ) وقال :

– بعثتنى " زينب بنت محمد " بهذا في فداء زوجها : أخى " أبى العاص بـن الربيع " .

وأخرج قلادة من ثيابه ..

لم يكد يراهـا النبـى (ﷺ) حتـى رق لهـا رقـة شـديدة ، وخفـق قلبـه لذكراها ، ففاضت عيناه .. وكان موقفا جليلاً بين أصحاب النبى (ﷺ) الذين وقفوا خشعاً لجلاله وروعته .

لقد كانت قلادة " خديجة " أهدتها إلى ابنتها " زينب " يوم عرسها .. حين زفتها إلى " أبى العاص " .. فانبعثت منها الرائحة الذكية .. وفاحت منها الذكرى السـنية لأم المؤمنين الأولى .. على رسول الله (ﷺ) وتكلم النبى (ﷺ) بعـد أن صـمت الجميع .. وكأن على رءوسهم الطير .. فقال في عطف ورحمة :

– " إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها .. وتردوا عليها مالها .. فافعلوا ".

فهتفوا جميعاً بملء قلوبهم :

- نعم يا رسول الله .

- وأدنى رسول الله (ﷺ) إلى صهره .. الذى كان متـأثراً لجـلال الموقـف وهيبته ، فأسر إليه حديثا ، أومأ ابن الربيع على أثره بالموافقة ، ثم حيـا وغـادر فلما نأى ، التفت الرسول (ﷺ) إلى أصحابه ، فأثنى على أبى العاص خيراً وقال :

- والله ما ذممناه صهراً .

«فرحة لم تكتمل

لقـــاء ووداع»

جلست " زينب " تنتظر مجيء زوجها الأسير من يثرب ، وقد بلغ منها الشوق مبلغه ، وقد أعدت العدة للقائه ، هاشة باشة .

وبينما هى كذلك ، إذ دخل عليها " أبو العاص " فلم تملك عاطفتها ، فرفعـت بصرها إلى السماء تحمد الله أن رده إليها وإلى طفليه سالماً ، وتتضرع إليه عـز شأنه .. أن يشرح صدره للإسلام .

وشغلتها نشوة اللقاء .. عن ما يغشى وجهه من وجوم واكتئاب ، فلم تفـق إلا على كلمات تخرج من فمه .. يتحسس وقعها عليها في مرارة :

- جئتك مودعاً يا حبيبة القلب .

فصاحت كمن اكتوت بالنار :

- هكذا .. ولما نكد نلتقى !؟

قال ومازال يتحاشى النظر إليها :

- لست راحلاً يا زينب ، ولكنك الراحلة هذه المرة !

وهالها ما تسمع :

- وظنت أن قريشاً إنما عاودته ثانية : أن يطلق زوجته " زينب " كما فعلـت مع " عتبة " و "عتيبة " ابنى أبى لهب وأرغمتهما على طلاق ابنتى الرسول (ﷺ) لتشغله عن دعوته .

وقالت : أتراهم أرادوا من أبى العاص هذا ..؟

لقد قالوا له من قبل :

– فارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش ، فقال لهم كلمة محببة إليها :

– لا والله إنى لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش.

وأحس ابن الربيع بما يدور بخاطرها .. فبادرها قائلاً :

– رحماك يا حبيبتى ، إن أباك هو الذى طلب أن أردك إليه ، لأن الإسلام فرق بينى وبينك ، وقد وعدت محمداً أن أدعك تسيرين إليه ، وما كنت لأنكث عهدى .

وهنا .. نزل عليها الخبر .. نزول الصاعقة .. فوجمت .. لكنها سرعان ما ابتسمت.

فقد حملها الحديث إلى بعيد .. في يثرب ، حيث النبى (ﷺ) وأخواتها والأهل والأحباب وعاشت في هذه النشوة لحظات ، ثم نظرت إلى زوجها منطويا على نفسه .. وقد أنهكه الأسى .. وهمست إليه وقد اختنقت الكلمات في فمها :

– وكم بقى لنا من وقت نقضيه معا ؟

فأجاب بصوت غير مسموع ..:

– ليس بالكثير .. إن هى إلا أيام تتجهزين فيها للسفر ، ثم يكون الفراق المحتوم .

قالت له في استحياء :

– وترافقنى إلى يثرب ؟

فأمسك دمعاً في مقلتيه وهو يقول :

– كلا يا ابنة الخالة ، بل يأتى أخوك " زيد بن حارثة " ورفيق له من الأنصار حتى يبلغا " بطن ياجج " على بعد ثمانية أميال من مكة ، فينتظر هناك حتى تمرى بهما فيصحباك إلى أبيك بيثرب .

« ذكاء امرأة »

لم يخف على " هند بنت عتبة " التى روعها مصابها يوم بدر ..

أن " زينب " تعد العدة لتلحق بأبيها .. لكنها أرادت مزيداً من التأكيد .. فـدنت من " زينب " أثناء خروجها ، وهى تتجهز للسفر ، وقالت متلطفة :

– يا بنت " محمد " ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟

فتحيرت " زينب " لا تدرى بماذا تجيب ..

فدنت منها " هند " وقالت :

– أى ابنة عمى ، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سـفرك ، فـإن عندى حاجتك ، فلا تنقبضى منى .. فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال .

وكادت " زينب " أن تصدق " هنداً " في قولها .. فتفضى إليها برحيلها .. لولا انقباض قلبها .

وتؤكد " زينب هذا بقولها الذى يوحى بسلامة القلب :

« والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكنى خفتها فأنكرت أن أكـون أريـد اللحوق بيثرب » .

أما " هند " فقد ذهبت تشعل نار الثأر في قريش ، وتؤججها بالغل والأحقاد .

« أيامنا الحلوة »

وحان الوداع !!!

وودعت " زينب " " أبا العاص " وداعاً حاراً .. وفى أحشائها بضـعة منـه : جنين في شهره الرابع وحاول " أبو العاص " أن يتجلد فلم يتمالك فقال :

مهما حدث يا زينب ، فسأبقى على حبك ما حييت ، وسيبقى طيفك أبداً مـلء هذه الدار التى شهدت أيامنا الحلوة .

آثر " أبو العاص " أن لا يرى زوجته وهى ترحل إلى يثرب .. فمضى يتجرع مرارة الفراق ، وقد ترك أخاه " كنانة بن الربيع " يمضى بها إلى حيث ينتظرها " زيد " وصاحبه .

خرج " كنانة " بزينب نهاراً جهاراً .. يقود هودجها .. وقد أخذ كنانته وقوسه فتحدث رجال قريش بذلك .. فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، وكان " هبار بن الأسود " و " نافع بن قيس " أسبقهم إليها .. فروع " هبار بن الأسود " بعيرها برمحه .. فألقى بها .. وبهودجها على صخرة .. وكانت حاملا فطرحت جنينها وجثا " كنانة بن الربيع " ونثر كنانته وقال :

– والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهماً .

فتراجع الناس عنه ووقف " سفيان بن حرب " في كوكبة من قريش يقول :

– إنك لم تصب يا كنانة :

خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من " محمد " فيظن الناس أن ذلك عن ذل أصابنا ، وأن ذلك ضعف ووهن منا ..

ولعمرى مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها ، فسلها سراً وألحقها بأبيها .

فأبى " كنانة " لولا أن سمع أنينها ، ورأى دماءها ، وقد طرحت جنينها على الرمال فعاد بها إلى مكة ، فعكف زوجها أبو العاص إلى جانبها أياما يرعاها ولا يفارقها لحظة من ليل أو نهار ، فلما تمالكت بعض قواها ، خرج بها " كنانة " حتى أسلمها إلى " زيد بن حارثة " وما تزال تنزف دماً .

وأغمضت قريش أعينها عنها .. وقد أصابهم الخزى والعار من قول " هند بنت عتبة " تستهزئ بهم وتسخر :

– أمعركة مع أنثى عزلاء ؟

– فهل كانت هذه الشجاعة في بدر ؟

وقد تناقلت الركبان قولها :

أفى السلم أعيار ، جفـاء وغلظـة   وفى الحرب أشباه النساء العوارك؟[1]

وعاد " كنانة " إلى أخية بعد أن اطمأن على " زينب " وهـو يـردد بصـوت جهورى :

عجبـت لهبـار وأوبـاش قومـه   يريـدون إخفـارى ببنـت محمـد!
ولست أبالى ، ما حييـت عديـدهم   وما استجمعت قبضاً يدى بالمهنـدِ!.

«استقبال الأبطال »

استقبلت يثرب " زينب " الطاهرة .. استقبال الأبطال الظافرين .. العائدين من معركة ضروس .. في مهرجان حافل مهيب .. يليق بقائد مظفر .

وعلا صوت من بعيد : يطالب بالثأر من قريش لما أصاب " زينب " من أذى في طريق الهجرة ، وتبعته أصوات كثيرة .. وحملت الركبان إلى قريش .. قـول شاعر الأنصار منذراً ومتوعداً : كل من سولت له نفسه إيذاء زهرة البيت النبـوى المبارك " زينب " ومنذراً " أبا سفيان " بالعاقبة الوخيمة إن هو لـم يتراجـع عـن موقفه العدائى للإسلام :

أتانى الذى لا يقدر النـاس قـدره   لزينب فيهم مـن عقـوق ومـأثم
وإخراجها لم يجـز فيهـا محمـد   على مأقط وبيننـا عطـر منشـم
فأقسـمت لا تنفـك منـا كتائـب   سراة خميس فـي لهـام مسـوم
نزوع قريش الكفر حتـى نعلهـا   بخاطمة فـوق الأنـوف بميسـم
ننـزلهم أكنـاف نجـد ونخلـه   وإن يتهموا بالخيل والرجل نـتهم
يد الدهر حتـى لا يعـوج سـربنا   ونلحقهـم آثـار عـاد وجـرهم
فأبلغ " أبا سـفيان " إمـا لقيتـه   لئن أنت لم تخلص سجودا وتسلم
فأبشر بخزى في الحيـاة معجـل   وسربال قار خالداً فـي جهـنم[2]**!**

---

(١) الأعيار : الحمير .
النساء العوارك : الحيض .
(٢) السيرة (٢/٣١٠) .

«لا يعذب بالنار إلا رب النار»

وكان الرسول (ﷺ) قد بعث بسرية فيها أبو هريرة .. وقال لهم :

إن ظفرتم " بهبار بن الأسود " و " نافع بن قيس " فحرقوهما بالنار . فلما كان الغد بعث إليهم النبى (ﷺ) فقال :

" إنى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما " .

«من غير ميعاد»

ومضى عام يتلوه عام ..

" وزينب " تدعو من لا ينام .. في السجود والقيام .. أن يشرح الله صدره للإسلام .. ويعود " أبو العاص بن الربيع " زوجها الحبيب إليها .. وإلى ابنتها " أمامة " وابنها " على " بسلام .

فقد مرت ستة أعوام ..

" وزينب " في كنف خير الأنام .. أبيها الحنون محمد عليه الصلاة والسلام ، وذات ليلة .. ظلت " زينب " فيها مؤرقة لا تنام .. تدفع الآلام بالأحلام .. تسامر الذكرى بخير كلام .. حتى دنا الفجر أو كاد .

وبينما هى في همسها الجميل .. وحلمها الطويل .. فإذا الباب يفتح .. وقد أراد الله للحلم أن يكون حقيقة .. فقد أطل " ابن الربيع " زوجها الحبيب .. كما يطل القمر في ليلة التمام .. بعد ليل حالك الظلام .. وظلام طال دجاه .

فانتفضت " زينب " انتفاضة نشوة .. وهى تقول :

– من .. " أبو العاص ؟! " ابن الربيع " ؟!

فأجاب بصوته المألوف .. وإن بدا عليه الإرهاق .. :

– أجل يا أعز من لى : " أبو العاص " ألقت به المقادير قريباً من يثرب فسعى إليك والمطاردون في أثره ..

ولم تصدق " زينب " .. عينيها بل ظلت تنظر إليه بنظراتها الحالمة .. وهـــى شبه نائمة ، إلى أن سمعت صوت بلال يؤذن لصلاة الفجر بصوته الخاشع الرخيم:

" الله أكبر "

– وأحست بوقع أقدام خير البشر .. تسعى حثيثاً إلى المسجد ليصلى بالناس . وقالت كمن تحاول أن تصدق ما ترى :

– " رباه لكأنى في يقظة ، ولكأنى بك يا أبا على وأمامة إلى جانبى !"

فقال :

– أجل يا زينب ، وهذا ضيفك ينتظر أن تحييه بعد أن أجهده السرى وأرهقته المطاردة ، وأضناه الفراق !

– ثم قالت له : وهل جئت مسلــ.. !

فقاطعها أبو العاص كمن أحس بالسؤال ، وكره لها الاسترسال :

– كلا يا زينب ..

– لم آت " يثرب " مسلماً ، وإنما خرجت تاجراً إلى الشام فـــي أمـــوال لـــى وأخرى لرجال من قريش ، فلما فرغت من تجارتى وأقبلت قافلاً ، لقيتنى ســـرية لأبيك فيها " زيد بن حارثة " ومعه مائة وسبعون رجلاً ، فأصابوا كل مـــا معـــى وأعجزتهم هارباً ، حتى إذا جن الظلام جئتك متخفياً مستجيراً !

فخبا أملها بعد أن أشرق .. وعادت مكانها .. وهى تقول بصوت الأسى :

– مرحباً يا بن الخالة ، مرحباً ألف مرحب بأبى على وأمامة .

وسكنت قليلاً !!!

– ثم انتفضت انتفاضة .. على صوت المسلمين وقد فرغوا من صلاتهم خلف رسول الله (ﷺ) وقد هموا بالخروج من المسجد ، وقد وقفت تنادى بصوت يدوى

في يثرب كلها ، مع آخر خيوط الليل ، وأول بشائر الصباح ، وصوتها يسرى كما يسرى الهواء في الأجواء :

" أيها الناس إنى أجرت .. أبا العاص بن الربيع ".

وحمل نسيم الفجر صوتها إلى حيث شاءت ..

واتجه الرسول (ﷺ) إلى أصحابه وقال :

– " أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ "

قالوا :

– " نعم يا رسول الله " .

قال :

– " أما والذى نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم " .

ثم أعلن الرسول (ﷺ) :

– " إنه يجير على المسلمين أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت " .

ثم انصرف النبى (ﷺ) من المسجد فدخل على ابنته .. وعندها ابن خالتها ، فما كادت ترى النبى (ﷺ) حتى هتفت ضارعة :

يا رسول الله ، إن أبا العاص إن قرب فابن عم ، وإن بعد فأبو ولد ، وإنى قد أجرته .

فنظر إليها الأب الحانى في عطف وحنان .. ثم قال لابنته :

– أى بنية ، أكرمى مثواه ، ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تحلين له .

نظر كل منهما لصاحبه .. في حزن وأسى وقالت " زينب " :

– هان عليك فراقنا يا " أبا العاص " ؟

فأجابها وهو يمسك قلبه :

– معاذ الحب يا زينب ، أما والله ما طاب لى من بعدك عيش .

فسألته :

– ففيمِ إذن هذا العذاب ؟ وحتام ؟

أجاب قائلاً :

– حتى يقضى الله فينا أمره .

وأخفى بيديه دمعاً هم أن يسيل .
فلم تجد " زينب " إلا الدعاء .
يرحمنا الله يا أبا العاص .

« أبدأ به إسلامى »

لقد عرضوا على بالأمس أن أسلم ، وآخذ ما معى من أموال ، فإنها أموال المشركين ، فأبيت قائلاً :

بئس ما أبدأ به إسلامى ، أن أخون أمانتى .

فوقعت كلمته " أبدأ به إسلامى " على قلبها موقع الماء من ذى الغلة الصادى .. فنظرت إليه تستبين صدق ما يقول .. فأشاح بوجهه عنها ، وراح يتشاغل بمناجاة طفليه النائمين .

وعندما أصبح الصباح نادى الرسول (ﷺ) رجال السرية الذين أصابوا مال " أبى العاص " وقال لهم :

إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له .. فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم .. فأنتم أحق به .

فأجابوا على قلب رجل واحد :
– يا رسول الله ، بل نرده عليه .
وأسرع كل واحد منهم ورد عليه ماله بأسره .. لم يفقد منه شيئاً .. حتى إن أحدهم كان يأتى بالدلو ، وبالإناء الصغير ، وبالسقاء البالى .

ولما همَّ بالرحيل ، ودَّعه النبى (ﷺ) قائلاً :

– حدثنى فصدقنى .. ووعدنى فوفى لى .

ثم رحل " أبو العاص " إلى مكة دون أن يودع " زينب " .. كما اعتادت منه الوداع كأنه ذاهب في رحلة صيد ثم يعود .. وأحست " زينب " بأمر ما سيحدث عن قريب .

((أمانة))

هشت قريش بعودة " أبى العاص " إليها سالما غانمـاً .. ولـم تصـدق مـا ترى .. حيث كانت قد تناقلت الركبان خبر استيلاء أصحاب " محمد " على تجارته وإصابة ما معه من مال ، واستعجلوه الخبر لكنه اسـتمهلهم .. حتـى أدى إلـيهم أموالهم ، ثم صعد على صخرة عالية ، ونادى بأعلى صوته :

– يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟

أجابوا بصوت واحد :

– لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً كريماً .

قال :

– فاسمعوا واعوا ..

فانتبه القوم كلهم إليه وقد أصاخوا له .

فقال :

– أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

والله ما منعنى من الإسلام : إلا أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها .. أسلمت .. فنزلت كلمته هذه عليهم نزول الصـاعقة وانطلق قاصداً يثرب ، مهاجراً إلى الله ورسوله ..

((فراسة المؤمن ، صدقت نبوءتها))

صدقت " خديجة " (رضى الله عنها) الطاهرة البتول .. حين زرعت في قلب ابنتها " زينب " الأمل في إسلام .. ابن الخالة مع مرور الأيام .. ولا غرو في هذا فتلك فراسة المؤمن .. فإنه يرى بنور الله .. وها هى الأيـام تمـر .. وتسـتقبل " زينب " .. " أبا العاص بن الربيع " مهاجراً إلى الله ورسوله ، ومشهراً إسـلامه بين يدى الرسول (ﷺ) وقد هلل المسلمون وكبروا .. حين رأوه يبايع النبى (ﷺ) على إسلامه .. مهنئين مباركين .

ثم دنا من النبى (ﷺ) وأصر إليه بحاجته في استرجاع " زينب " فأثنى الرسول (ﷺ) عليه خيراً ، وقام به إلى بيته ، ودعا إليه ابنته ، فردها على " أبى العاص " فأشرق وجه " زينب " كما لم يشرق من قبل ، وأنارت أساريره التى كم بهتت طوال أيام الفراق القاسية ، واجتمع الشمل ، وصفقت القلوب ، وترقرقت الدموع .. وسعدت " أمامة " بعودة أبيها فتعلقت بثيابه ولم تدعه حتى وعدها ألا يفارقها بعد الآن .

وتلاقى الأحبه	**بعد طول غيبة**[1]
وازدادوا جمالاً	**وازدادوا محبة**
في صحبة ورد	**كانت خير صحبة**
لم تزل رحيقا	**في قلب الأحبة**

«وداع بعد لقاء»

عش ما شئت .. فإنك ميت ..
وأحبب من شئت .. فإنك مفارقه ..
واعمل ما شئت .. فإنك ملاقيه ..
إنها الدنيا .. دار من لا دار له ..
دار بلا دار ..
وسكن بلا قرار ..
ولا استقرار ..

فلم يمض غير عام واحد من الهناء والسعادة .. وهما يتطلعان إلى الزيادة .

عام واحد فحسب .. نسيت فيه " زينب " .. ونسى فيه زوجها .. ما مضى من أسى وضنى وفراق ، ولم تكد " أمامة " تفرح بعودة أبيها ، حتى فجعت برحيل أمها " زينب " ولم يكد " ابن الربيع " يرتاح من طول العناء ، ويطيب من ألم الفراق على أمل بلقاء بلا فراق .. حتى فاجأته " زينب " بفراق بلا لقاء .

ورحلت " زينب " ..

---

(١) من شعر المؤلف .

رحلت من الوجود .. إلى عالم الخلود .. في مستهل العام الثامن الهجرى .

فقد ترنحت متأثرة بجرحها الأليم القديم ، الذى طرحت فيه جنينها على رمـــال مكة ، يوم هجرتها إلى المدينة .

بكى " أبو العاص " على زوجته " زينب كطفل فقد أمه ، لا كزوج فقد زوجته حتى أبكى من حوله ، ورق على الناس حاله وهو ملقى علـــى فراشـــها فتركـــوه يستنشق منها ما يشاء من رائحة الجنة ، حتى خرج أبوهـــا محزونـــا يســـتودعها الله ، خير من يحفظ الودائع ، فلا تضيع الودائع عنده .

ثم قال للنساء :

– اغسلنها وتراً : ثلاثاً أو خمساً ، واجعلن في الآخرة كافوراً .

وقف " أبو العاص " بالباب مروعاً فزعاً ، شاحب الوجه ، بارق العينين ، إلى أن جهزوها للرحيل وللسفر الطويل .

وصلى عليها النبى (ﷺ) وأصحابه الكرام ، وشيعوها إلى مثواهـــا الأخيـــر ورجع " أبو العاص " إلى داره ، يعتصر الألم قلبه ، وتجتر المرارة نفسه ، فوجدها وقد خلت إلا من الذكرى ، ورآها وقد امتلأت إلا من النشوى .

وظل " أبو العاص " يبكى حبة قلبه ، وراحة روحه ، حتى سمع بكاء صغيرته " أمامة " وهى تبكى أمها ، فانفطر قلبه ، وأمسك عن البكاء ، حتى يؤنس وحدتها ويبدد وحشتها ، وأجلسها بجانبه ، وأخذ يمسح دموعها بيديه ، ويربط على رأسها ويضمها إلى صدره ، ودموعه تهطل في صمت فيواريها عنها ، وقلبه يتمزق بين الضلوع ، وهى تبكى بلا دموع .

وجلس " أبو العاص " إلى ابنته " أمامة " يمسح آثار الـــدموع علـــى وجههـــا المشرق ، فرأى فيه صورة " زينب " فهاج فؤاده ، ورفرفت روحه ، وما لبـــث أن سكن إليها ، فقد أحس أن " زينب " لم تمت ، فقد تركت له ذكرى فرحهما ، وثمرة حبهما ، وفلذة كبدهما " أمامة " .. وقرة عينهما " على " الذى مات شاباً .

كانت أحب البنات إلى النبى (ﷺ) فقد وجد فيها ما يخفف حزنه على " زينب " فكان يأنس بها ويهش لها ، وكان يحملها على عاتقة ويصلى بهـــا ، فـــإذا ســـجد وضعها ، وإذا قام حملها .

وكان (ﷺ) يقول عنها :
- " أحب أهلى إلىّ "
فقد أهديت هدية إلى النبى (ﷺ) فيها قلادة من جزع ، فقال (ﷺ) :
- لأدفعنها إلى أحب أهلى إلىّ .
فقالت زوجات النبى (رضوان الله عليهن) :
- ذهبت بها ابنة أبى قحافة .. يقصدن عائشة (رضى الله عنها) .
لكن الرسول (ﷺ) دعا " أمامة " بنت " زينب " فأعلقها في عنقها .

«إحياء الذكرى»

هذا ..

وقد أحيت " فاطمة الزهراء " ذكرى شقيقتها الطاهرة الكبرى : بتسمية وليدتها باسم " زينب " حتى يبقى اسمها على لسانها ، ورسمها في جنانها ، وخيالها في عيونها ، لا يفارقها أبدا . فقد كانت لها الأم الرءوم بعد أمها ، والشقيقة الكبرى في مكة ، والصديقة المثلى في يثرب ، والحبيبة الأولى قبل ذلك .

أما " ابن الربيع " فقد أحيا ذكرى " زينب " الحبيبة الغالية في قلبه ، فلم يتزوج أبداً ، حتى لحق بها بعد خمسة أعوام : في ذى الحجة من السنة الثانية عشرة للهجرة في عهد الصديق " أبى بكر " (ﷺ) .

وهكذا .. مات " ابن الربيع " بعد أن أوصى " الزبير بن العوام " ابن خاله : بابنته " أمامة " فزوجها الزبير " على بن أبى طالب " بعد وفاة خالتها " فاطمة الزهراء " ومكثت معه حتى قتل ، فكان مشهدها وهى تطيف به .. وهو مسجى على فراشه يمزق القلوب .

حتى قالت " أم الهيثم النخعية " تصف هذا المشهد الأليم :

أشاب ذؤابتى

أشاب ذؤابتى وأذل ركبى	" أمامة " حين فارقت القرينا
تطيف به لحاجتها إليه	فلما استيأست رفعت رهينا

«وصية الإمام»

وكان الإمام على (كرم الله وجهه) قد أوصى " أمامة " حين وافته المنية قائلاً:

" إنى لا آمن أن يخطبك هذا الطاغية ، يريد " معاوية " بعد موتى ، فإن كان لك في الرجال حاجة ، فقد رضيت لك " المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب " عشيراً .

وقد صدقت نبوءة الإمام علىّ (كرم الله وجهه) .

فما إن مات (ﷺ) وانقضت عدتها ، حتى كتب " معاوية " إلى " مروان بن الحكم " يأمره أن يخطبها إليه ، وقد بذل لها مائة ألف دينار .

فلما ذكرت ذلك للمغيرة قال مغضباً :

– أتتزوجين ابن آكلة الأكباد ؟

– فلو جعلت أمرك إلىّ ؟

فتذكرت وصية زوجها الإمام " علىّ بن أبى طالب " فقالت :

– نعم .

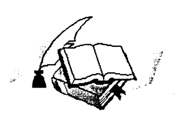
فقال المغيرة :

– قد تزوجتك .

وأقامت معه حتى ماتت دون ذرية .

وبموتها وبموت أخيها " على " الذى أردفه النبى (ﷺ) خلفه يوم فتح مكة .. انقطع عقب " زينب الكبرى " .. وبقيت سيرتها الذكية :

ملء القلوب والأسماع على مر الزمان ، وتعاقب الحدثان .



زينب الكبرى

(رضى الله عنها)

قمرٌ وشــمسٌ أم عقــودُ كواكــبِ ... أمَّن تسيرُ على التــرابِ ككوكــبِ
أمَّن تهاجرُ تحتَ أجنحــة اللظــى ... والشوكُ يفترشُ الطريــق ليثــربِ
أمَّن تهاجر كالبلابلِ فــي السـما ... حتى ترفرف كالـذبيحِ أو السـبى
أمَّن تهاوى نجمهــا فــي هجــرةٍ ... أم من تكونُ كزينبِ بنــت النبــى
برزوا لها مثــل السـهام ظعينــة ... بــين القفــار بغيــر أم أو أبِ
وأحاطهــا بالغــل كــل مــدنس ... كالحيــة الرقطــاء أو كــالعقربِ
وتلقفوهــا فــي العــراء فريســة ... من كل ناب في الوحوش ومخلــبِ
أرأيت أجمل زهــرة تهمــى دمــاً ... حتى تصــفى كالــدخيل الأجنبــى
ورأيت زهرة أهل بيت المصــطفى ... تذوى وترحل كالطريــد المختبــى
قد كان هــذا كلــه فــي شــرعة ... لا تســتجيب لمنطــق أو مــذهبِ

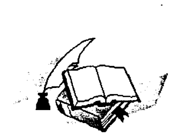
أولى قوارير الحبيــب المصــطفى ... وسليلةُ البيــتِ الشــريفِ الطيــبِ
فاسبح ببحر النورِ فــي صــلواتها ... واسق الحيارى من سناها واشربِ
فهى اختيار الصــالحين وخيــرهم ... ومــآلهم والمجتبــى والمجتبــى
وهى النعيمُ لكــل صــاحبِ نعمــةٍ ... والراحــةُ الكبــرى لكــلِ معــذبِ
وهى السعادة عنــد كــل شــقاوةٍ ... وهى النعــيمُ لكــل قلــبٍ متعــبِ
وهى البدايــة عنــد كــل مقــربٍ ... وهى النهايةُ عنــد كــل منســبِ

قد توجت ورد الربيــع بحســنها ... وتلألأت يــوم الزفــاف بموكــبِ
فهو الشريف أميــر ســادة مكــة ... طــوبى لبــر بالحيــاء مهــذبِ

كانت محبتها لـــه نـــوراً يضـــيء ... له طريق الخلــد وســط الغيهــب
وضعت له نوراً بــزى " أمامــة " ... يزهى به في مشــرق أو مغــرب
وسما " عليٌّ " بالسماحة والنـــدى ... فطوى المكارم بــالحلال الطيــب
لكنمــا الإســلام جــاء بــدعوة ... هــزت بقــاع العــالم المتقلــب
خرج الرسول مهاجراً فــي ربــه ... من مكــة خيــر الــبلاد ليثــرب
فهدى الكواكب والنجــوم لهجــرة ... بمدينة النــور البهــيج الكــوكبى
لكن زينــب بنتــه ظلــت بمكــة ... في رعايــة زوجهــا لــم تــذهب
أسروه فــي بــدر فكــان فــداؤه ... عقداً لأم المــؤمنين مــن النبــى
خلعته زينب يومها مــن جيــدها ... قالت خذوه وأرســلوه إلــى أبــى
فلعله يعفو ويصــفح عــن ربيــع ... إنـــه زوجـــى وغايـــة مطلبـــى
فإذا رآه المصطفى صمت الــورى ... واهتاجت الذكرى بــدمع مســهب
وتذكر العهد القــديم " خديجــة " ... في لجة البحر الذى لــم ينضــب
فعفا رسول الله عنه علــى المــلا ... بين الصحابة في جــلال الموكــب
حتى أتى شرع السماء إلى النبــى ... مفرقــاً بــين الربيـــع وزينـــب
لتعود زينب للحبيــب المصــطفى ... وتــودع العاصــى بقلــب معــذب
أثنى الرسول عليه يوم خروجــه ... رجلاً وليس وإن عصى بمذبــذب
في يثرب تــأبى الــزواج محبــة ... ولقد أتاهــا خيــر ســادة يثــرب
وترى الربيع على الوفــاء بمكــة ... يأبى الزواج محبــة فــي زينــب
ذابا فراقــاً فــي ســبيل عقيــدة ... وتجمعــا بالقلــب دون تقـــرب
حتى أتى الإيمان يجمــع شــملهم ... ويعــود للبيــت ابتســامات الأب
كان الربيع علــى تجــارة قومــه ... حين اعتلته سرية فــي الغيهــب
فأصابت الــدنيا عليــه وطاردتــه ... فلم يجد دون الهدى مــن مهــرب
ليلـــوذ فيـــه بزينـــب فيـــؤمنن ... ويـــؤتين بمالـــه لـــم ينهـــب

فتصيح زينب قد أجرت "أبا أمامة" وليكن مثـــواه فـــي بيـــت النبـــى
فيجيــــره طـــه ويحفـــظ عهـــده ويضمه الهـــادى إليـــه ويجتبـــى
قالوا لـــه أسـلم وخـــذه غنيمـــة فيقول لا أرضـــى بهـــذا المـــذهبِ
وأتـــى عشـــيرته يـــرد أمانـــة كانـــت لهـــم بيمينـــه لـــم تكتـــبِ
وأبى مصـــادرة الأمانـــة بعـــدما صارت لـــه لكنـــه الحـــر الأبـــى
ويصيح بين القـــوم إنـــى عائـــد والصدق كنزى والأمانة مكسبى
هذى أمـــانتكم أتيـــت لكـــم بهـــا حتى أهـــاجر طائعـــاً لـــم أرهـــبِ
ولسوف أمضى للرســـول مبايعـــاً ومؤيداً أنـــا لســـت بعـــد بمـــذنبِ
فأتى المدينـــة مشـــهراً إســـلامه والله يعلـــم مالـــه مـــن مـــأربِ
قد جاء محتسباً لوجـــه الله فيـــه يريـــد رحمتـــه ومرضـــاة النبـــى
فأضاء وجه المصطفى وأعاد زينب " للربيـــع " فيـــا ســـعادة زينـــبِ

هذا هو الحـــب الـــذى لا ينتهـــى حب يقـــام علـــى أســـاس طيـــبِ
حـــب يكـــون الله فيـــه مهيمنـــاً ويكون ديـــن الله أســـمى مطلـــبِ
وليعلو الإســـلام أعظـــم شـــرعة وأتـــم منهـــاج وأســـمى كوكـــبِ



رقية بنت محمد (ﷺ)

ذات الهجرتين

وأول من هاجرت إلى الله

« صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد نبى الله لوط عليه السلام »

" حديث شريف "

نجم الثريا

يا مرحباً بك يا رقية ... قد كنت للدنيا رقيا
سأظل أنظم عقد حسنك ... لؤلؤاً مادمت حيا
لا غرو في هذا فتلك ... حقيقة تبدو جليا
دوت بسمع زماننا ... حتى اعتلت نجم الثريا
دوت فأخرجت الهداة ... أما سمعت لها دويا
ورأيت جباراً شقياً ... صار في يوم وليا
ورأيت ذا عقل رشيد ... كان مفتوناً غوياً
خلعوا بها زى الضلال ... ليرتدوا الإيمان زيا
ورأيت محتاجاً فقيراً ... صار في سعة غنيا
ورأيت إنساناً يموت ... وجسمه مازال حيا
ويعيش في كنف الإله ... ولم يزل لحماً طريا
ورأيت حاضرة الجلال ... وكان سراً بابليا
وسمعت صوتاً قد أتاك ... وكان إحساساً خفيا
وشهدت وجهاً للجمال ... وكان وجهاً عبقريا
هذا ضياء رقية ... نثرته في الدنيا نديا
كانت تعيش حياتها ... للغير لا تبغى سميا
من ليس يملك أن يعيش ... لغيره هو ليس حيا
عاشت وماتت ثم عاشت ... بيننا مثلاً وضياً
فعليك رضوان الإله ... وعشت للدنيا رقيا

تاج الدين نوفل

بين وشيجة الدم
ووشيجة الدين

إن وشيجة الدم .. من أقوى الوشائج .. وأسمى الأواصر .. وأبقى الروابط .. إذا تواصلت النفوس .. وتلاقت القلوب .. في قالب واحد .. وتوحدت المشاعر .. وزكت السرائر .. وصفت البصائر فإنها تزلزل الجبال .. وتخترق المحال .

فالدم لغة تتكلم .. وتعبر عما يجيش في الصدور .. حتى ولو أضمر صاحبه غير ما يظهر .. وأظهر غير ما يخفى .. فإنه يتكلم إذا حان الكلام .. يتكلم بلا كلمات .. ويعمل بلا حركات .. بل قد تنفعل الجوارح والحواس .. فتعمل عمل الدم في العروق .. فيخرج مواقف خالدة .. تبقى غرة على وجه الزمان .. وقلادة على صدر العصور .

ومن أبرز هذه المواقف التى كتبتها وشيجة الدماء .. وخطتها عروقه الخضراء .. ذلك الموقف التاريخى العظيم .. الذى هز البقاع .. وحطم القلاع وأبكى القلوب .. وأسبل الدموع .. إنه موقف " حمزة بن عبد المطلب " أسد الله وأسد رسوله وهو حينئذ على غير دين الإسلام .

أقبل " حمزة بن عبد المطلب " ذات يوم .. متوشحاً قوسه عائداً من رحلة صيد ، فلقيته امرأة تقول له :

" يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقى ابن أخيك " محمد (ﷺ) " آنفا من " أبى الحكم بن هشام " ؟ وجده ها هنا جالساً .. فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره .

فاحتمل حمزة الغضب .. ولم يكن قد أسلم بعد .. واندفع غير ملق بالا إلى أحد في الطريق .. حتى عثر بأبى الحكم جالساً في القوم بالبيت العتيق ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فشجه به شجة منكرة ثم قال :

" أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرد على ذلك إن استطعت ! "

وهكذا أسلم حمزة ، لأنه لم يطق أن يؤذى ابن أخيه بمرأى منه أو مسمع ! ..

لقد تحركت فيه الوشيجة .. وتحركت فيه الدماء .. وهكذا .. فلا يصبح الـدم ماء .. وإن تقطعت الأعضاء .. وأصبحت أشلاء .. تظل هذه الوشيجة تنادى فـي جهر وخفاء .. حتى يلتئم الشمل .. وترتبط الأجزاء .. ويكتمل البناء وهكذا !!!

فلا توجد وشيجة أقوى من وشيجة الدم .. إلا وشيجة الدين . فهـي الوشـيجة والوليجة .. التى تزول الجبال ولا تزول .

إنها الرباط إلى يوم القيامة .. وهـي خاصـة أهلهـا وبطـانتهم .. وقـوتهم وشوكتهم .. وعزتهم ومنعتهم .. وزينتهم وزهرتهم .

فطوبى للمتحابين المترابطين .. وويل للمتفرقين .. المتشاحنين .

فإذا قوى الإيمان وتوثقت عراه .. كانت وشيجة الدين أشد وأقوى من وشيجة الدم .. وكان الدين هو الأب والأم .. والأخ والأخت .. والأهـل والعشـيرة دون سواه .. وكان هو الحياة .. كما كان يفتخر الواحد منهم بهذا صراحة ويقول :

أبى الإسلام لا أب لـي سـواه إذا افتخروا بقـيس أو تمـيم

لأن الدين في هـذه الحالـة يكـون قـد اسـتحوذ علـى ملكـات الإنسـان جميعها .. وتمكن من شغاف قلبه .. واختلط بدمه .. وباشر وجدانـه .. فأصـبح الدين هو الحياة بعينها .. بل أشد .. فقد يفدى دينه بحياتـه .. ولا يفـدى حياتـه بدينه .. يفعل هذا وهو يقول .

أما الحـرام فالممـات دونـه يفدى الكريم عرضـه ودينـه

فلقد كانوا يضعون أرواحهم على أكفهم من أجل رفعة هذا الدين .. وصـونه وتمامه .. وكان الواحد منهم يتمنى أن يقتل في سبيل الله .. ثم يرجع فيقتـل فـي سبيل الله .. ثم يرجع فيقتل في سبيل الله إلى أن تقوم الساعة .

من هنا فقد كان الدم المسلم .. أكرم على المسلم من الدم الكافر حتى وإن كان الدم الكافر .. دم حر عزيز .. لأب أو أم أو أخ أو أخت .. وإن كان الدم المسلم دم عبد ذليل لبعيد شريد طريد .

بمعنى آخر :

إن وشيجة الدين .. أقوى من وشيجة الدم .. حتى وإن كانت وشـيجة الـدين لبعيد غريب .. ووشيجة الدم لقريب حبيب .

وانظر وتأمل معي .. كيف يصنع الدين بأصحابه .. والإيمان بأحبابه .. وكيف يصبح البعيد قريباً .. والقريب بعيداً .. والحبيب عدواً .. والعدو حبيباً .. فعندما وقع أبو عزيز بن عمير ضمن الأسرى وكان يأسره رجل من الأنصار[1] .. مر عليه أخوه مصعب بن عمير .. فوجد يديه موثوقتين إلى عنقه بحبل .. فقال للأنصارى :

اشدد على أسيرك .. فإن أمه غنية .. وستفديه بمال كثير ..

– فقال له أخوه :

أهذه وصاتك بأخيك ؟ .. أى هذه وصيتك بأخيك ؟

– فقال له مصعب :

" هذا أخي دونك .. "

كلمة حق أثبت من جبل أحد .. يتزلزل الجبل .. ولا تتزحزح .

" هذا أخي دونك .. " أى : هذا أخي في الدين .. أما أنت فأخى في النسب .. وأُخُوَّةُ الدين أقوى وأوثق من أُخُوَّةِ النسب .

انظر ..

كيف ربى الإسلام رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. ؟!

كيف صنع الإسلام من القوالب الخاوية .. قلوباً واعية .. ؟!

كيف آخى الإسلام بين أتباعه .. وجمعهم على الهدى ؟!

فلا فضل لعربى على أعجمى .. ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى .. إن أكرمكم عند الله أتقاكم ..

من هذا المعيار .. وبذلك المقياس .. وبنفس الميزان .. كانوا يزنون أنفسهم وأعمالهم قبل أن توزن عليهم .. ويزنون الناس بميزان الله .. ميزان الهدى .. الذى يصدق .. ولا يكذب أبداً .. فيحبون من أحب الله ويبغضون من أبغض الله .. ولو كان من أولى القربى .. وصدق الله العظيم .

---

[1] كان يأسره " أبو اليسر " وهو رجل من الأنصار .

((لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [1]

((بشير ونذير))

لكـــل رســـالة تبشـــير	وكـــل بشـــارة ببشـــير
وكـــل هاديـــة بهـــدى	وكـــل ســـفارة بســـفير
وإن مـــن أمـــة ســـبقت	إلا خـــلا فيهـــا نـــذير [2]

ولما كان ذلك كذلك .. وكان محمد (ﷺ) خاتم الأنبيـاء والمرسـلين .. فقـد أرسله الله رحمة للعالمين .. وقال له ابدأ بقومك أولاً .. فقد نقل السهيلي عن ابـن عباس :

لما أنزل الله تعالى :

((وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)) [3]

خرج رسول الله (ﷺ) .. حتى أتى الصفا ، فصعد عليه وهتف :

واصباحاه !

– فلما اجتمعوا إليه قال :

" أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ "

– قالوا :

ما جربنا عليك كذباً .

---

(١) المجادلة (٢٢).

(٢) من شعر المؤلف .

(٣) الشعراء (٢١٤) .

- قال :

" فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد "

- فانبرى له أبو لهب قائلاً :

" تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ "

- فأنزل الله قوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ)) [1]

وذلك لأنها كانت تزرع الشوك في طريق المصطفى (ﷺ) حين يمر لتؤذيه .

- قال :

فذكر لى أن " أم جميل " حمالة الحطب .. حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول الله (ﷺ) وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها فهر من حجارة .. قطع من حجارة .. فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله (ﷺ) فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت :

يا أبا بكر ، أين صاحبك ؟! فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه .

أما والله إنى لشاعرة .

- ثم قالت تهجو النبى المصطفى (ﷺ) :

مذمماً عصينا ..
وأمره أبينا ..
ودينه قلينا ..
وانصرفت ..

---

(1) المسد (1-5) .

- فقال أبو بكر :

يا رسول الله ، أما تراها رأتك ؟

- فقال :

" ما رأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنى .. "

«أول مهاجر وأول مهاجرة»

إنها الزهرة الثانية .. والوردة الحانية .. والحبة الغالية .. في عقد الطهر والعفاف .. والنقاء والصفاء النبوى .

ابنة المصطفى (ﷺ) من " خديجة " (رضى الله عنهم) فهى ابنة نورين وفلذة كبدين .. وصاحبة هجرتين .. فقد هاجرت مرتين .. مرة إلى الحبشة .. ومرة إلى المدينة .. فكانت أول من هاجر إلى الحبشة مع زوجها " عثمان بن عفان " (رضى الله تعالى عنهما) على قرب عهدها بالزواج .. وكانت أول من هاجر على الإطلاق إلى الله تعالى في دين الإسلام .

قال رسول (ﷺ) :

" صحبهما الله .. إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد نبى الله لوط "

فلقد تحملت المشقة والعناء والعذاب .. من أجل هذا الدين .. هى وزوجها الكريم " عثمان بن عفان " (رضي الله عنهما) مما لا يوصف بلسان .. ولا يدرك بجنان .. ويكفيها وصفاً .. وفخراً .. أنها صاحبة الهجرتين .. بكل ما فيهما من مصاعب وأخطار .. وفراق للأهل والأوطان .. ولكن قلبها المزدان دائماً بحب الله ورسوله (ﷺ) كان يردد دائماً مع الحادى .. وهم في طريق الغربة والوحشة إلى الحبشة :

الأهل والأوطان ... فراقهم صعبُ
لكنه الإيمان ... فداؤه القلبُ
والروح والأبدان ... فليقبل الربُ

((فليقبل الربُ))

لم تملك " رقية " دمعها .. وهى تطوف بعينها مودعة أرض الله المباركة .. وتلقى نظرة الوداع على آخر شبر يبدو من بعيد .. لهذه البقعة النورانية من أرض الله .. وآخر قُبلة رسمتها على جبين أبيها المصطفى (ﷺ) وآخر عناق عانقت به أمها " خديجة " وأخواتها : " زينب " و " أم كلثوم " و" فاطمة " .. إلا على صوت الحادى .. ذلك الصوت الشجى الذى طافت معه الأرواح .. وانسابت معه الدموع .. فى جلال وخشوع .. فإذا " بعثمان " يبدو على مقربة منها .. ينظر إليها .. وعيناه تفيضان بالدمع من جلال الموقف .. وكأنه يعاتبها ويعاتب نفسه على البكاء .. ويدعو نفسه إلى الثبات .

((ملك لا يظلم عنده أحد))

رحبت الحبشة بالمهاجرين الأولين .. وقد بلغوا عشرة ما لبثوا أن أصبحوا نيفاً وثمانين .. غير أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً ، أو ولدوا في دار الهجرة .

وسر رقية أن تجد من يؤنس وحشتها في غربتها .. من بنى هاشم أمثال : " جعفر بن أبى طالب " ابن عم النبى (ﷺ) وامرأته " أسماء بنت عميس " ومن بنى أمية آل زوجها " عثمان بن عفان " وغيرهم كثيرون .

ولم تضق الحبشة بالوافدين ، بل أمَّنهم " النجاشى " وأحسن جوارهم ، وتركهم أحراراً يعبدون الله .. لا يخافون من أحد غيره ..

من ثم جهر " عبدالله بن الحارث بن قيس " بأبيات من الشعر عسى أن تبلغ مكة :

يا راكباً بلغن عن مغلغلة	**من كان يرجو بلاغ الله والدين**
كل امرئ من عباد الله مضطهد	**ببطن مكة مقهور ومفتون**
إنا وجدنا بلاد الله واسعة	**تنجى من الذل والمخزاة والهون**
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز	**ى في الممات وعيب غير مأمون**

وقال بصوته العالى " عثمان بن مظعون " يعاتب ابن عمه وكان شريفاً ذا شأن في قومه :

ألخرجتنى من بطن مكة آمناً وأسكنتنى في صرح بيضاء تقذع
تريش نبالاً لا يواتيك ريشها وتبرى نبالاً ريشها لك أجمع
وحاربت أقواماً كراماً أعزة وأهلكت أقواماً بهم كنت تفزع
ستعلم إن نابتك يوماً ملمة وأسلمك الأوباش ، ما كنت تصنع

« خطة فاشلة »

وغير هذا كثير ..

وكما قيلت وأنشدت .. بلغت ما أرادوا لها أن تبلغ .. وضجت مكة لها فوق ضجيجها .. وعلموا أن أصحاب " محمد " (ﷺ) قد أمنوا بأرض الحبشة واستقروا ، ففكر المشركون في مكيدة .. دبروا لها رجلين من رجالهم ليوقعوا العداوة والبغضاء بين النجاشي والمهاجرين .

اختار المشركون لتنفيذ مخططهم : الداهية " عمرو بن العاص " والصنديد " عبدالله بن أبى ربيعة " .. وحملوهما بالهدايا للنجاشى وبطارقته ، فانطلقا بها على مرأى ومسمع من محمد رسول الله (ﷺ) وأصحابه .

وأشفق أبو طالب على من بأرض الحبشة ، وفيهم ابنه " جعفر " و "رقية " حفيدة أخيه " عبدالله " وأهل كثيرون . فأنشد شعراً يستدر فيه كرم " النجاشى " وعدله الذى يجتاز الآفاق :

ألاليت شعرى كيف في النأى جعفر وعمرو ، وأعداء العدو الأقارب؟
وهل نالت فعال النجاشى جعفرا وأصحابه ، أو عاق ذلك شاغب؟
تعلم ، أبيت اللعن ، أنك ماجد كريم ، فلا يشقى لديك المجانب
وإنك فيض ذو سجال غزيرة ينال الأعادى نفعها والأقارب

فاستهزأت قريش سخرية وقالت :

وماذا يجدى الشعر مع الهدايا .. ؟!

علم المهاجرون في الحبشة حقيقة .. ما يحاك بهم من قريش .. إثر وصول " عمرو بن العاص " و " عبدالله بن أبى ربيعة " .. إلى الحبشة .. ولقاء البطارقة واحداً بعد الآخر ، وتسلم كل بطريق هديته .. على أن يكلم " النجاشى " في أمر تسليم المهاجرين إليهما .. ثم يقدما إلى " النجاشى " هديته ويسألاه أن يسلم إليهما المهاجرين دون أن يكلمهم .

((بين الملك والبطارقة))

هذا ولقد كان حديثهما لكل بطريق على حدة :

" إنه قد ضوى إلى بلد الملك غلمان منا سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم .

فوعدهما " البطارقة " خيراً ، ثم أنهما قدما هداياهما إلى " النجاشى " فقبلها منهما ، ثم كلماه بمثل ما كلما به البطارقة ، فقالت البطارقة حوله :

صدقا : أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ..

فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم .

فغضب النجاشي وقال :

لاها الله ! إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاورونى ، ونزلوا بلادى واختارونى على سواى .. حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاورونى .

اجتمعت المهاجرات بمنزل " رقية " بنت النبى (ﷺ) يتباحثن في الأمر .. وقد ساورهن القلق .. بعد أن أرسل " النجاشى " لرجالهن يدعوهم ليسألهم في أمر الرجلين ، وقد طال انتظارهن قبل أن يعود الرجال من قصر " النجاشى " .

فلقد استقبل " النجاشى " الرجال وقد جمع أساقفته حوله ، ومعهم صحفهم منشورة ، فسألهم :

ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في دينى ولا في دين أحد من هذه الملل ؟

– فأجاب عنهم " جعفر بن أبى طالب " :

أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية .. نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده .. ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، فصدقناه ، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله .

فعدا علينا قومنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك .. واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك ".

– فصمت " النجاشى " ملياً ثم سأل :

هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟

– أجاب " جعفر " : نعم

- قال " النجاشي " : فاقرأه علي ..

- فتلا جعفر : صدراً من سورة مريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

((كهيعص ❁ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ❁ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ❁ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ❁ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً ❁ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ❁ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً ❁ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً ❁ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ❁ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ❁ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ❁ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ❁ وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً ❁ وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ❁ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ❁ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ❁ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ❁ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ❁ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً ❁ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ❁ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ❁ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ❁ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً ❁ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ❁ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ❁ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ❁ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ❁ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ❁ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ❁ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ❁ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي

بالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ۞ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ۞ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ۞ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) [1]

صدق الله العظيم

فبكى " النجاشى " حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ثم قال :

إن هذا .. والذى جاء به " عيسى " ليخرج من مشكاة واحدة .

– والتفت إلى " عمرو " و " عبدالله " قائلاً :

انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون .

فانصرفا ، أما " عمرو " فلم يفقد ثقته في دهائه ، ولا استسلم للهزيمة صاغراً بل قال مهدداً :

والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم ، يعنى شجرتهم التى منها تفرعوا ، وأما " عبدالله بن أبى ربيعة " فأخجلة أن يكون " النجاشى " الغريب البعيد أبر بجيرانه منه ، وما فيهم من لا يمت إليه بقربى أو رحم .
– قال لعمرو :

لا تفعل ، فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا .
– ورد " عمرو " في إصرار :

والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن " عيسى بن مريم " عبد !

فلما أصبحوا دعاهم " النجاشى " وسألهم عما يقولون في " عيسى " وكان المهاجرون قد بيتوا ليلاً ألا يجيبوا إلا بما جاء به محمد (ﷺ) وليكن بعد ذلك ما يكون .
– نقول فيه الذى جاءنا به نبينا (ﷺ) :

هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى " مريم " العذراء البتول .

---

[1] مريم (١ : ٣٥) .

- قالوا :

فمد " النجاشى " يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً وقال لجعفر :

والله ماعدا " عيسى بن مريم " ما قلت .. هذا العود ..

ثم أمسك لحظة ، وجعل ينقل بصره بين البطارقة ، وعمرو وصاحبه ، حتى استقر على المهاجرين فقال :

" اذهبوا فأنتم آمنون بأرضى ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم .. وما أحب أن لى جبلاً من ذهب ، وأنى آذيت رجلاً منكم ..

والتفت من بعد ذلك إلى بطارقته قائلاً :

" ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة .. حتى رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه"

وآب " عمرو " و " عبدالله " خائبين إلى مكة يجران خزيهما .

((عودة الطيور المباركة))

وآمن المهاجرون على أنفسهم وأموالهم عند ملك لا يظلم عنده أحد .. مجاورين بالحبشة خير جار : أمَّنهم على دينهم .. فعبدوا الله على خير ما تكون العبادة .. فأقاموا إلى ما شاء لهم المقام ..

ولكن الحنين دفع ببعض المهاجرين إلى العودة إلى مكة .. عندما بلغهم أن قريشا ثابت إلى رشدها .. أو كادت .. وكانت أشد المهاجرين حنيناً إلى مكة السيدة " رقية " التى تحملت الضعف والمرض .. بعد سقوط جنينها الأول .

سار الركب في طريق مكة يتقدمهم " عثمان " و " رقية " و " الزبير " وآخرون يحدوهم الأمل ، وتحملهم النشوة إلى أرض الأحباب .. إلى خير الأحبة .. " محمد " وصحبه (ﷺ) .

ولكن سرعان ما تبخرت الآمال .. واندثرت الأحلام .. على تأوهات المتأوهين واستغاثات المستغيثين .. من المستضعفين المسلمين .. يعذبون بأيدى المشركين .. على الرمال الملتهبة .. والصخور المتفحمة ببطحاء مكة .

وحوصر العائدون يوماً أو بعض يوم ، واستجار بعضهم بالبيت العتيق .. وعادت " رقية " إلى البيت النبوى المشرق بنور الإيمان .. لتجد في انتظارها " أم كلثوم " و "فاطمة " .. وقد تعلقتا بها معانقتين .. تكاد النشوة تبكيهن .

ثم انتهت " رقية " من نشوتها تسأل في وجل :

أين أبى .. وأين أمى ؟

– فأجابتا :

أبوك بخير ، وقد خرج للقاء العائدين معك من أرض الهجرة .

ثم تلعثمتا .. فسكتتا .. وغابت النشوة عن وجهيهما ..

وعادت " رقية " تسأل وهى مضطربة .. وقد أحست بشىء ما ..

وأمى .. أين أمى ؟

فشخصت " أم كلثوم " صامتة .. وتركت فاطمة المكان مختنقة بالدموع فأسرعت " رقية " نحو مخدع أمها الراحلة .. حيث ألقت بنفسها متهالكة متقطعة الأنفاس .. زائغة البصر .. مثلجة الأطراف .. تتأوه في صمت مطبق .

إلى أن جاء المصطفى (ﷺ) فضمها إلى صدره الشريف وهناك ذابت الأحزان وتلاشت الآلام .. وسكنت " رقية " لخير الأنام .. صابرة محتسبة .

« الهجرة الثانية »

ما لبث أن هاجر النبى (ﷺ) من مكة إلى المدينة وتبعته " رقية " بصحبة زوجها " عثمان " وفى مكة وضعت مولودها " عبدالله بن عثمان " ولم تكد تنسى به فقدها لجنينها البكر .. حتى مات طفلاً " بنقرة ديك " فريعت " رقية " تحت هول المصاب .. صريعة الحمى .

وعكف " عثمان " يعالجها ويرعاها .. فلن يستطع أن يلبى داعى الجهاد ، ولم يطاوعه قلبه أن يتركها تعانى من سكرات الموت ، فتخلف عن موقعة " بدر " مُكْرَها .. وظل بجوار " رقية " يبذل الغالى والنفيس .. من أجل حبة قلبه .. وفلذة كبده .. وأنيسة روحه .

ولكن هيهات .. هيهات .. فقد اشتد المرض .. وطال الصراع .. حتى رفرفت روحها في عالم الأرواح .. كومضة المصباح .. وأشرقت شفتاها بابتسامة السكينة والرضا .. وغابت عن الوجود .. في عالم الخلود .. على صوت بشرى بانتصار المسلمين في بدر .

وعاد البطل الظافر محمد بن عبدالله (ﷺ) من بشرى النصر إلى بشرى الجنة يزف ابنته " رقية " إلى جنة عرضها السموات والأرض .. ويمسح بطرف ثوبه قطرات من فضة تنحدر من عينى " فاطمة الزهراء " .

وهكذا .. وهكذا !!!

عاش رسول الله (ﷺ) في رباط .. من يوم أن بعث وإلى يوم أن مات .. سلسلة متلاحقة من الأحداث .. متدفقة من الأثقال .. متتابعة من الأهوال .. لم يغمض له جفن .. ولم يهنأ له بال .. من أجل أن يكمل البناء .. ويرفع الصرح الشامخ عالياً .. بعد أن يوطد أركان البيت الكبير .. بيت الإسلام .. الذى بدأه إخوانه الأنبياء عبر التاريخ .. وشاء الله أن يكون محمد (ﷺ) هو المتمم لما بدأوه .. المزين لما بنوه .. أليس هو القائل :

" إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى : كمثل رجل بنى بيتاً .. وجمله ، وحسنه إلا موضع لبنة فيه .. فجعل الناس يطوفون بالبيت يقولون : ما أجمله ! ما أحسنه ! لولا هذه اللبنة .. فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم الأنبياء " .

« يوم عصيب »

كان يوماً .. عصيباً ..

ذلك اليوم الذى قبل فيه النبى (ﷺ) مصاهرة .. أبى لهب ..

وقبلت فيه " خديجة " مصاهرة " أم جميل " حمالة الحطب ..

كان الخبر أقسى ما يكون على " رقية " و " أم كلثوم " حين سمعتا أن " عتبة " و" عتيبة " قد أوشكا أن يكونا زوجين لهما ..

فما إن سمعتا هذا الخبر من أمهما " خديجة " حتى انسحبتا إلى غرفتهما فـي سكون ووجل ولم تتكلما .. وكأنها ألقت حجـراً علـى صـدريهما .. وتبعتهمـا فاطمة .. وكانت صغيرة لا تعى سر انقباضهما .

وبقيت " خديجة " وحدها تتابع الموقف بحذر .. وقد انقبض قلبهـا .. إشـفاقا على ابنتيها .. لما تعلمـه وتعرفـه عـن " أم جميـل " تلـك المـرأة الذميمـة السليطة .. التى ستصبح سوطا على ابنتيها تحت سقف واحد .. ولكن ماذا تصنع ؟

وكانت الزهرتان المباركتان " رقية " و " أم كلثوم " تدركان ذلك جيداً .. لمـا تتمتعان به من شفافية ورهافة حس .. ولكن ماذا تصنعان ؟

لقد كان برهما بأبيهما محمد (ﷺ) وحبهما له .. يمنعهما أن يثقلا عليه .. ولو بعبارة .. أو إشارة .. خاصة وأنه في هذه الأيام منشغل الفكر .. منصـرف عـن أمور الدنيا .. يشغله أمر خطير .. اقترب حدوثه .

وقد تجاذبتا أطراف الحديث ، فقالت " أم كلثوم " " لرقية " :

إنك تعلمين أن أبانا لن يقضى هذا الأمر دوننا ، فماذا ترينك فاعلة ؟

فشحب وجه " رقية " .. قائلة :

لست بالتى تعق أباها ، فتعرضه للحرج أمام أهله وعشيرته الأقربين .

ثم نظرت إلى أختها .. وقالت مؤازرة لها في شفقة وحنان .

لا عليك يا أختاه .. فسنكون معاً ..

ولكن ما السبب في قبول النبى (ﷺ) و " خديجة " (رضى الله عنهـا) لهـذه المصاهرة :

لقد جاء " أبو طالب " الشيخ الكبير فى وفد من آل عبد المطلب إلى بيت النبى (ﷺ) وقال له :

إنك يا ابن العم قد زوجت " زينب " " لأبى العاص بن الربيع " ، وإنـه لـنعم الصهر ، غير أن بنى عمك يرون لهم عليك مثل ما لابن أخت " خديجة " ، وليسوا دونه شرفاً ونسباً .

- فقال محمد (ﷺ) :

صدقت يا عم !

- قال " أبو طالب " :

وقد جئناك نخطب ابنتينا " رقية " و " أم كلثوم " ، وما أراك تضن بهما علـى أبنى عمك " عتبة " و " عتيبة " .

- قال محمد (ﷺ) :

معاذ القرابة والرحم ، ولكن هلا أمهلتنى يا عم حتى أتحدث في هذا إلى ابنتى؟

ونتوقف هنا .. عند هذه العبارة .. التى قالها الشيخ الكبير " أبو طالب " لمحمد ابن أخيه الذى رباه وأواه .

إنك يا ابن العم قد زوجت " زينب " لأبى العاص بن الربيـع ، وإنـه لـنعم الصهر ، غير أن بنى عمك يرون لهم عليك مثل ما لابن أخت " خديجة " وليسـوا دونه شرفاً ونسباً .

هذه العبارة الذكية .. التى كانت مدخل حديث الشيخ المحنك " أبى طالب " كان لها أكبر الأثر في قبول النبـى (ﷺ) و " خديجـة " (رضـى الله عنهـا) هـذه المصاهرة .. ولك أن تتأمل ما فيها من معنى يصعب معـه التفكيـر مـن جهـة " خديجة " (رضى الله عنها) ويصعب معه الرفض من جهة محمد (ﷺ) .

أما محمد (ﷺ) فقد علق الأمر على ابنتيه ..

وأما " خديجة " فكانت ترى الموافقة لأسباب منها :

أولا : حتى لا تتهم بأنها تقطع أواصر القربى بين " محمد " وآله .. فتثير الهاشميين عليها وعلى " محمد " (ﷺ) .

ثانيا : حتى لا تتناولها " أم جميل " بلسانها السليط ، وما قد تختلق بأحقادها من افتراءات عليها وإنها لقادرة على ذلك .

ثالثا : حتى لا تشغل محمداً عن ما هو فيه من الإغراق ، والتأمل ، والخلوة والاعتزال بالخروج إلى غار " حراء " .

رابعا : حتى لا تعرض " محمداً " وهو في هذه الحالة إلى مجافاة أعمامه فضلا عن عداوة " أبى لهب " وامرأته " أم جميل " .

خامسا : حتى لا يتهم " محمد " بين قومه بأنه لا رأى له ، وأن الرأى رأى " خديجة " تزوج من تشاء .. وترد من تشاء .. فها هى قد زوجت ابنتها الكبرى " زينب " " لأبى العاص بن الربيع " .. ابن أختها وهاهى اليوم ترد " عتبة " و " عتيبة " ابني عم " محمد " عن " رقية " و " أم كلثوم " أختى " زينب " .

سادسا : وقبل كل ذلك هى تريد أن تهيئ المناخ .. وتقوى الروابط والصلات .. وتصفى الأجواء .. بغرس المحبة .. وزرع المودة .. لاستقبال الحدث التاريخى الهام .. بإشراق شمس الدين الجديد .

ولم يكد محمد (ﷺ) يتلقى رسالة ربه .. ويدعو إلى الدين الجديد .. حتى ائتمرت قريش بالرسول وبناته قائلة :

إنكم قد فرغتم محمداً من همه ، فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن .
ومشوا إلى أصهار الرسول (ﷺ) الثلاثة ، فقالوا لهم واحداً بعد الآخر :
فارق صاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت .
فأما " أبو العاص " فأبى مؤثراً صاحبته على نساء قريش جميعاً .

وأما ابنا " أبى لهب " فاستجابا على الفور لأمر أمهما " أم جميل " قبل قريش .. فقد أقسمت ألا يظلها وبنتى محمد سقف ، ثم مازالت بزوجها الزنيم " أبى لهب " حتى أثارت حفيظته على الزهرتين البريئتين ، فقال لولديه :

" رأسى من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتى محمد ".

ولم تقف " أم جميل " عند هذا الحد .. من إيذاء النبى (ﷺ) بل خرجت ومعها " أبو لهب " إلى المعركة بين محمد وقريش . فما رؤى أحد أشد عداوة منهما .. لنبى الله (ﷺ) ولا بلغ أحد من أذاه قدر ما بلغا ، ولا سمع أن أحداً من بنى هاشم ظاهر قريشاً على حفيد هاشم ، كما فعل " أبو لهب " !

استجاب الله دعاء " رقية " و " أم كلثوم " وفرق الله بينهما وبين ابنى " حمالة الحطب " وأبدلهما الله خيراً منهما : زوجاً كريماً .. من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام .. وأحد العشرة المبشرين بالجنة " عثمان بن عفان " وتبدلت حياتهما من الظلمة إلى النور .. ومن القسوة إلى الرحمة .. ومن الشحناء إلى المحبة فتقدم " عثمان " لخطبة " رقية " .. فزوجه الرسول (ﷺ) منها ، فلم ير زوجان قط أجمل ولا أبهى منهما .. فلما ماتت " رقية "[1] .. زوجه الرسول من أختها " أم كلثوم "

---

(١) كان النبى (ﷺ) يحب ابنته رقية حباً شديداً .. لأنها كثيرة الشبه بأمها خديجة .. يذكره بها جمالها وحركاتها وسكناتها .. فيدعوها ويطيل النظر إليها كما يطيل الاستماع لحديثها العذب .. فلما ماتت رقية بكى وأحس حزناً شديداً وشعر وهو يدفنها أنه يدفن زوجته خديجة وابنته رقية معاً .

فلما ماتت قال رسول الله (ﷺ) " لعثمان " (رضي الله عنه) :

" لو أن عندنا ثالثة لزوجناكها .. ولوددت لو أن عندى عشر بنـــات زوجتــك الواحدة تلو الأخرى " .

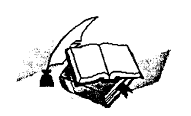
إنه " عثمان بن عفان " أول من هاجر إلى الله بعد نبى الله لوط .

وقد عرف بذى النورين :

لأنه جمع نورين من نور النبى (ﷺ) في ابنتيه :

" رقية "

" أم كلثوم " .



رقية (رضى الله عنها)

يـــا مرحبـــا بـــك يـــا رقيـــة	قـــد كنـــت للـــدنيا رقيـــا
ســـأظل أنظـــم عقـــد حســـنك	لؤلـــؤاً مادمـــت حيـــا
لا غـــرو فـــي هـــذا فتلـــك	حقيقـــة تبـــدو جليـــا
دوت بســـمع زماننـــا	حتـــى اعتلـــت نجـــم الثريـــا
دوت فأخرجـــت الهـــداة	أمـــا ســـمعت لهـــا دويـــا
ورأيـــت جبـــاراً شـــقياً	صـــار فـــي يـــوم وليـــا
ورأيـــت ذا عقـــل رشـــيد	كـــان مفتونـــاً غويـــاً
خلعـــوا بهـــا زى الضـــلال	ليرتـــدوا الإيمـــان زيـــا
ورأيـــت محتاجـــاً فقيـــراً	صـــار فـــي ســـعة غنيـــا
ورأيـــت إنســـاناً يمـــوت	وجســـمه مـــازال حيـــا
ويعـــيش فـــي كنـــف الإلـــه	ولـــم يـــزل لحمـــاً طريـــا
ورأيـــت حاضـــرة الجـــلال	وكـــان ســـراً بابليـــا
وســـمعت صـــوتاً قـــد أتـــاك	وكـــان إحساســـاً خفيـــا
وشـــهدت وجهـــاً للجمـــال	وكـــان وجهـــاً عبقريـــا
هـــذا ضـــياء رقيـــة	نثرتـــه فـــي الـــدنيا نـــديا
قمـــر تحـــيط بـــه النجـــوم	الزهـــر يطـــويهن طيـــا
خيـــر النجـــوم دنـــا لهـــا	والله حيَّاهـــا وحيـــا
يـــا غرتـــى مـــن هـــاجروا	وتبعتمـــا لـــوط النبيـــا
يـــا ذات أعظـــم هجـــرتين	لـــدينها تـــأبى الـــدَّنِيَّا
يـــا خيـــر مـــن طافـــت علـــىّ	وخيـــر مـــن رفعـــت عليـــا
طـــوت المشـــارق كلهـــن	ومـــا أتـــت شـــيئاً فريـــا

ومضت فأصقلها الوميض ... ولم تكن يوماً بغياً
وتجرعت مر العذاب ... ولم يزل حلواً هنيا
واستعذبته لعلها ... تجد النصير أو الوليا
من أجل نصرة أحمد ... حتى يرد به أبيا
في مثل نصر الله موسى ... حين رد السامريا
كانت تهاجر كل يوم ... هجرة وتقول هيا
كانت ترى أن السياحة ... تقتضي بلداً قصيا
بلداً بعيداً عن تخوم ... الكفر لا بلداً عصيا
تخلو إلى الرحمن فيه ... فلا ترى إلا خليا
تنسى لديه الكائنات ... وفيه تحيا بل تُحيَّا
وتصوم عن عرض الحياة ... فتجتني رطباً جنيا
تخلو فتنساب العيون ... فترتوي عبقاً ورياً
فتذوب في النجوى ضياء ... ساجيا يسمو نجيا
نور لذي النورين عثمان ... الذي مازال حيا
من تستحي منه الملائك ... إن رأت منه المحيا
من سابق الخيرات حتى ... كاد أن يرقى نبيا
فالنور أوله انبلاج ... ثم يستجلي بهيا
من كان ينشد في الحياة ... فضيلة يحيا سويا
إن الحياة لدى " رقية " ... ساعة تمضي مضيا
فلتغتنم فيها المكارم ... ولتعش فيها تقيا
جاءت من الأرض البعيدة ... كي ترى النور السنيا
والظلم ظلماء بمكة ... ينجلي شيئا فشيًّا
والنور غايته الوصول ... لكي ترى بشراً سويا

جـــاءت لتـــذكر مـــن خديجـــة	أمهـــــا الحـــــب الزكيـــــا
قـــالوا لهـــا ماتـــت فريعـــت	وانطـــــوت تبكـــــى مليـــــا
فقـــدت هـــلالاً ثـــم ســـافر	نجمهـــــا الثـــــانى صـــــبيا[1]
كانـــت تحـــب الله بالإحســـان	حبـــــــا ســـــــــرمديا
كانـــت تعـــيش حياتهـــا	للغيـــــر لا تبغـــــى ســـــميا
مـــن لـــيس يملـــك أن يعـــيش	لغيـــــره هـــــو لـــــيس حيـــا
عاشـــت وماتـــت ثـــم عاشـــت	بيننـــــا مـــــثلاً وضـــــياً
فعليـــك رضـــوان الإلـــه	وعشـــــت للـــــدنيا رقيـــــا



(١) فقدت جنيناً ثم مات وليدها الثانى صبياً (الطبعة الأولى) .

أم كلثوم

كوكب الإسلام

بنت محمد (ﷺ)

(رضى الله تعالى عنها)

كوكب الإسلام

يا كوكب دين الإسلامِ   يا نجم الإيمان السامى
يا بنت الهادى مكرمة   وتحياتى لك وسلامى
يا أخت رقية في النجوى   ورفيقتها في الأحلامِ
هاجرت إلى الله بحب   هجرة أشواق وغرامِ

يا كوكب دين الإسلام   يا نجم الإيمان السامى
يا بنت الهادى معذرة   من قلب مشتاق ظامى
معذرة لم أقطف زهراً   ورضيت بزهرة أيامى
والزهر تفوح روائحه   من هذا البستان الهامى
فالنور حدائقه شتى   تروى في مكة والشامِ
هذا النور يضىء حياتى   هالات حولى وأمامى
من ينشده حباً وهدى   يستقبله في الأكمامِ

يا كلثوم النور الهامى   وسقاء للقلب الظامى
يا أسمى من كان ورائى   وخلاصة من كان أمامى
سيرتكم نور للدنيا   ومقامكمو خير مقامِ
وبوجهك بشرى فردوس   وعلى صدرك خير وسامِ

تاج الدين نوفل

« أم كلثوم »

الزهرة الثالثة في عقد الجمال النبوى .. ثالثة الجواهر .. التى تزين جيد الزمان .. على مر الأيام .. ابنة المصطفى (ﷺ) من خديجة (رضى الله عنها) .

تحملت عبء البيت النبوى .. بعد رحيل الأم الكبرى .. وكانت لأبيها خير معين .. في رحلة الدعوة إلى الإسلام .

تزوجت " أم كلثوم " من " عثمان بن عفان " بعد موت شقيقتها الرقيقة " رقية " الطاهرة العفيفة .. وعاشت نوراً .. وماتت نوراً .. ووسدها " عثمان " (ﷺ) ثرى يثرب إلى جانب أختها " رقية " (رضى الله عنها) .

ووقف النبى (ﷺ) على قبر ابنتيه دامع العينين ، مرهف القلب ، فقد ظلت الأحداث تتوالى .. والرسول (ﷺ) صابر محتسب .

هذه " أم كلثوم " في كلمات ..

فإن أردتها في سطور !!!

« كتبت من نور »

فقد أراد الله بها خيراً .. فأنجاها من براثن« حمالة الحطب » ومخالب " أبى لهب " ففارقها " عتيبة " كما نجت أختها " رقية " ففارقها " عتبة " وأبدلهما الله خيراً منهما .. " عثمان بن عفان " الذى ما لبث أن تزوجها وهاجر معها إلى الحبشة .. فلما ماتت " رقية " زوجه الرسول (ﷺ) " أم كلثوم " ليستمر النور موصولاً على ذى النورين .

وما علم أن أحداً تزوج بابنتى نبى .. غير عثمان بن عفان (ﷺ) .

ولنبدأ القصة من أولها ..

عادت " أم كلثوم " من بيت " أبى لهب " كمن نجا من النار واللهب .. وإلى الجنة قد ذهب .. وأى جنة تلك التى فيها الحبيب المصطفى (ﷺ) صباح مساء .. يباركها بأنواره .. وينيرها ببركاته .. نعم الوالد .. ونعم المربى .. ونعم الحانى .. رحمة الله للعالمين .. فكيف رحمته بالأقربين .

وإذا رحمت فأنت أم أو أبٌ ... هذان في الدنيا هما الرحماء [1]

وإذا بنيت فخير زوج عشرة ... وإذا ابتنيت فدونك الآباءُ

وفرحت " فاطمة الزهراء " بأختها " أم كلثوم " شقيقة الروح ، ورفيقة الصبا .. وعكفتا تشاركان أم المؤمنين الأولى " خديجة " (رضى الله عنهن) عبئها الجليل .. وتستقبلان البطل العائد كل يوم .. من معركة التوحيد .. أشرف معركة في التاريخ الإنسانى .. وأطهر ملحمة على أرض الله .. في أقدس ميدان عرفته البشرية .. ميدان الدعوة إلى كلمة الحق .. " لا إله إلا الله " .

كانت " أم كلثوم " في هذا الميدان خلف أبيها المصطفى (ﷺ) وكأن الله قد ادخرها .. بعودتها من بيت " أبى لهب " إلى بيت النبى (ﷺ) لتتحمل أعباء الدعوة .. وتشد من أزره (ﷺ) فتمسح عنه ما يلقاه من إيذاء وعنت كفار قريش .. الذين تفننوا في حربه ، واحتالوا في إيذائه بشتى فنون الحرب ، ومختلف حيل المكيدة .

عكفت " أم كلثوم " مع أمها " خديجة " ومن خلفها الصغيرة " فاطمة الزهراء " يحطن بالنبى (ﷺ) في بر وحنان .. يحاولن ما استطعن .. أن يمسحن عنه الأسى ، وينفضن غبار الألم ، ويروحن عنه أذى المشركين .. وعناد الكافرين ..

وكانت " أم كلثوم " تعيش بروحها وقلبها مع أبيها المصطفى (ﷺ) في داخل الميدان .. تؤازره وتدعو الله أن ينصره على أعداء دعوته ، وتحيطه بهالة من النظرات الحانية ، وترسل بصرها وراءه حين يخرج من بيته قاصداً باباً جديداً

---

(١) من شعر أمير الشعراء أحمد شوقى (الهمزية النبوية) .

لدعوته .. فإذا غاب عن عينيها رفعت بصرها إلى السماء ، وأرسلت إليه فيضاً من الدعوات .. أجنحة تظله من كل سوء ، وتحفظه من كل مكروه .

وتظل " أم كلثوم " على حالتها هذه لا يهدأ لها بال .. ولا ينقطع لها خيال .. ولا يستقر لها حال .. حتى يعود النبى (ﷺ) وتطمئن عليه .. فإذا عاد وملأت من جماله عينيها سكنت .. وارتاح فؤادها .. وهدأت نفسها .

لقد كانت " أم كلثوم " (رضى الله عنها) في بيت أبيها مثالاً للأمومة والبنوة .. بنوة بارة .. مع أمومة حارة .. وكأن الله قد أعدها لتحمل المسئولية بعد رحيل أمها " خديجة " (رضى الله عنها) لتكون عوناً لأبيها في اجتياز الأزمة الكبرى .. وقرة عين للنبى (ﷺ) في اجتياز عام الحزن .

ولقد بلغت " أم كلثوم " من رقة الحس .. ورهافة المشاعر .. أن تصاب بالوجوم كل صباح وهى تودع أباها المصطفى (ﷺ) وتظل مضطربة غريقة الأوهام حتى يمد إليها أبوها المصطفى (ﷺ) طوق النجاة .. بوجهه المشرق الوضاء الذى يضىء البيت عند عودته في المساء .

وما كان ليهدأ روعها .. ويكفكف دمعها .. لولا كلمات نورانية .. كانت تسمعها من الفم النبوى الطاهر .. عندما ينتابها الخوف على أبيها (ﷺ) من الأعداء .. فكان (ﷺ) يقول لها :

" إن الله مانع أباك "

ولقد أيَّد الله كلام نبيه الصادق الأمين (ﷺ) حيث قال :

" والله يعصمك من الناس " [1]

فلا تخافى يا " أم كلثوم " ..

.. إن أباك رجل ممنوع ..

هذه عبارة .. قالها أعداء محمد (ﷺ) قبل أن ينطق بها أحباؤه .. وتلفظ بها الكفر .. قبل أن يتلفظ بها الإيمان .. فهل بعد ذلك خذلان .. كلا .. ورب الكعبة .

---

(١) المائدة (٦٧) .

«حصار المسلمين»

لقد أعد الله " أم كلثوم " لهذه المهمة ، وخلقها لتلك الغاية .. فعاشت في ذروة الأحداث ، وفى حومة المعارك .. وأشدها ضراوة .

فلقد يئست قريش من تخلى " أبى طالب " عن ابن أخيه " محمد " (ﷺ) وخاب سعيها في تسليمه لهم .. فضلاً عن الخسارة الكبرى التى أصابت قريش بإسلام " حمزة بن عبد المطلب " و " عمر بن الخطاب " .. فطار صوابها .. وفقدت رشادها .. فائتمروا بينهم على مقاطعة " بنى هاشم " وسجلوا مقاطعتهم في وثيقة علقوها فى جوف الكعبة .

وبدأ الحصار ..

خرج النبى (ﷺ) بأهله ومن تبعه إلى شعب " أبى طالب " وانضم إليه " بنو هاشم " و " بنو عبد المطلب " عدا " أبى لهب " .

وأحكمت قريش قبضتها على شعب " أبى طالب " وأحكم الحصار .. لثلاث سنوات .. فلا يصل إليهم شيء إلا سراً .. حتى أنهم كانوا يأكلون ورق الشجر .

وذات يوم لمح " أبو جهل " حكيم بن حزام بن خويلد .. يسير متخفياً معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته " خديجة " (رضى الله عنها) فتعلق به " أبو جهل " وصاح فيه :

" أتذهب بالطعام إلى " بنى هاشم " ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة وهكذا بلغ منهم الجوع مبلغه .. حتى قال " سعد بن أبى وقاص " فيما بعد :

" لقد جعت حتى أنى وطئت ذات ليلة على شيء رطب ، فوضعته في فمى وبلعته ، وما أدرى ما هو إلى الآن ! " .

«انتهاء الحصار»

كانت دعوة الحبيب المصطفى (ﷺ) دائما :

اللهم إنا نجعلك في نحورهم .. ونعوذ بك من شرورهم .

فاستجاب الله دعاءه .. وارتد السهم الذى أرادوا به الإسلام والمسلمين إلى صدورهم .. وكان الله في نحورهم .. وأعاذهم الله من شرورهم .

وهكذا انتهى الحصار دون أن يزعزع إيمان المسلمين قدر أنملة ، أو يزحزحهم عن نصرة النبى (ﷺ) قيد شعرة ، ((**وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**)) [1].. وإصراراً على مواصلة المسيرة ، ثقة في نصر الله لهم .. ومؤازرته للدين الجديد الذى هزَّ الجزيرة العربية وما حولها .

فلقد قام " هشام بن عمرو بن ربيعة العامرى " بهذه المهمة العظيمة .. ونجح أيما نجاح في تفريق كلمة قريش ، وفك الحصار المضروب عليهم طيلة ثلاثة أعوام من الجوع والحرمان .. اللهم إلا من فتات كان يقوم " هشام بن عمرو " بنقله إليهم على بعيره تحت ستر الظلام .

فقد كان يأتى ليلاً ببعيره وقد أوقره طعاماً ، حتى إذا بلغ به فم الشعب ، خلع خطامه من رأسه ثم ضربه على جنبه ، فيدخل البعير على " بنى هاشم " و "بنى عبد المطلب " بما يحمل من طعام .

وذات ليلة كان الرسول (ﷺ) يستقبل الزاد القادم .. فيوزعه على ذوى العيال في الشعب ، وكانت " أم كلثوم " بجوار أمها المريضة .. طريحة الفراش .. دائبة على رعايتها وخدمتها .. وقد بدا عليها الضعف والوهن .. فقد شيبتها الأحداث وأنهكتها الأيام .. وأثر فيها الحصار .. فلم تعد قادرة على الحركة .. وإن بدت متمسكة بالحياة .. لا لشيء إلا لأن محمداً فيها .. الزوج الحبيب .. والرسول الخاتم (ﷺ) .

- فهمست تناجى ابنتها " أم كلثوم " :

ليت الأجل يمهلنى حتى تنجلى المحنة ، فأموت قريرة العين راضية .

- فهتفت " أم كلثوم " من أعماقها :

لا بأس عليك يا أماه !

ثم اختنقت بالبكاء ..

---

(1) الأحزاب (٢٢) .

– فقالت " خديجة " (رضى الله عنها) :

أى وربى .. لا بأس على ابنتى ! ما من امرأة في قريش ذاقت ما ذقت من نعيم ! بل ما من امرأة في هذه الدنيا .. نالت مثل الذى نلت من مجد :

حسبى في حياتى : أنى زوجة الحبيب المصطفى (ﷺ) .

وحسبى من آخرتى : أننى المؤمنة الأولى ، وأنى أم المؤمنين .

– ثم همست تقول وقد أغمضت عينيها :

اللهم إنى لا أحصى ثناء عليك ! أنت كما أثنيت على نفسك ! اللهم إنى لا أكره لقاءك ، ولكنى أطمع في مزيد من لذة التضحية ، وقدسية الألم ، وشرف الاستشهاد ، لأكون جديرة بما أنعمت علىّ به !

وسكن الليل .. سكون الخاشع المتبتل في جوف الدجى .. يردد تلك الكلمات في الملأ الأعلى .. وقد تسابقت الملائكة في كتابتها .. وحصر حسناتها فلم تستطع .. فكتبتها كما هى .

وفى الركن الآخر كانت " أم كلثوم " تغتسل بدمعها في صمت حذر .. يبدده خفقان قلبها الذى راح يصلى من أجل أمها .

وفى هذا السكون الداجى .. والليل الساجى .. والجو القاسى .. فتح الباب فأشرق منه النور .. بطلعته البهية .. ورائحته الذكية .. ودخل المصطفى (ﷺ) فأضاء البيت ، فنهضت " خديجة " (رضى الله عنها) للقائه بوجه مشرق وضاء .. وقد سرى في جسدها من نور المصطفى (ﷺ) بصيص من عافية .

وتصيخ " أم كلثوم " إلى أبيها المصطفى (ﷺ) وهو يحمل أنباء فك الحصار بما سمع من عمه " أبى طالب " العائد من زيارة الحرم .. حيث قال :

إن " هشام بن عمرو " ذاك الذى يحمل المئونة إلى المحاصرين ليلاً ..

مشى إلى " زهير بن أبى أمية المخزومى " فقال له :

يا زهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت ؟

أما أني أحلف بالله : أن لو كانوا أخوال " أبي الحكم بن هشام " ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه من مقاطعتهم ، ما أجابك إليه أبداً !

فأصغى " زهير " وفكر ملياً ثم سأل : ويحك يا " هشام " ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لقمت في نقض الصحيفة حتى أنقضها .

– قال " هشام " :

قد وجدت رجلاً ..

– فسأله : من هو ؟

أجاب : أنا .

– قال " زهير " : أبغنا رجلاً ثالثاً .

فذهب " هشام " إلى " المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف " فقال له :

يا مطعم ، أقد رضيت أن يهلك بطنان من " بنى عبد مناف .. وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟

أما والله لئن أمكنتموهم من هذه ، لتجدنهم إليها منكم سراعا .

فكان جواب " مطعم " كجواب " زهير " .

ومضى " هشام " بعد ذلك إلى " أبى البحترى بن هشام " فحدثه بمثل ما حدث به صاحبيه : زهيراً ومطعماً ، فسأله " أبو البحترى " :

وهل أجد ما يعين على هذا ؟

– أجاب " هشام " :

نعم ، " زهير بن أبى أمية " ، " والمطعم بن عدى " ، وأنا معك .

فطلب إليه " أبو البحترى " أن يلتمس مؤيداً خامساً ، فذهب إلى " زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد " فكلمه في " بني هاشم " وذكر له قرابته منهم .. وحقهم عليه .. فأجابه " زمعة " .

وتواعد الخمسة على اللقاء ليلاً بخطم الحجون .. بأعلى مكة .. وهناك أجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في أمر الصحيفة حتى ينقضوها ، واتفقوا كذلك على أن يبدأ " زهير " فيكون أول من يتكلم في مجتمع القوم .

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا " زهير " عليه حلة فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال :

يا أهل مكة ، أنأكل الطعام .. ونلبس الثياب .. " وبنو هاشم " هلكى .. لا يباع ولا يبتاع منهم ؟

والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

- قال " أبو جهل " ، وكان في ناحية المسجد :

كذبت ، والله لا تشق !

- فأجابه صوت " زمعة بن الأسود " :

أنت والله أكذب ، وما رضينا كتابها حيث كتبت !

- وصاح " أبو البحترى " :

صدق " زمعة " لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به .

- وأيدهما " المطعم " :

صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها .

وتابعهم " هشام بن عمرو " مؤيداً ، فنقل " أبو جهل " عينيه بين هؤلاء الرجال الخمسة ثم صاح مستريباً :

هذا أمر قضى بليل ، تشوور فيه بغير هذا المكان .

فلم يعره الرجال اهتماما ، وقام " المطعم " بمرأى من القوم ، وفيهم " أبو طالب " قد انتحى ناحية المسجد .. والتمس الصحيفة ليشقها ، فإذا الأرضة قد أكلتها فلم تدع منها إلا : " باسمك اللهم " ![1]

ووجمت قريش .. وأحست بالخيبة والهزيمة .. [2]

وقام " أبو طالب " يسعى إلى الشعب بالبشرى ، وقد تذكر أبناءه الذين هاجروا إلى الحبشة .. فهتف منشداً عسى أن تصلهم البشرى :

((صنع الله))

ألاهل أتى بحرينا صنع ربنا	**على نأيهم ، والله بالناس أرود**
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت	**وأن كل مالم يرضه الله مفسد**
تراوحها إفك وسحر مجمع	**ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد**
جزى الله رهطا بالحجون تبايعوا	**على ملأ ، يهدى لحزم ويرشد**
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم	**مقاولة ، بل هم أعز وأمجد**
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا	**على مهل ، وسائر الناس رقد**
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً	**وسر "أبو بكر" بها و "محمد"**

فأيقظت هذه البشرى كل من في الشعب ، فهبوا من مضاجعهم يهتفون للبشرى السعيدة ، وصاح المسلمون : " الله أكبر "

(١) قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم : أن رسول الله (ﷺ)قال لأبي طالب : يا عم ، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان ، فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخي اخبرني بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي ، فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخي ، فقال القوم : رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هي كما قال رسول الله (ﷺ) فزادهم ذلك شراً .. فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

(٢) وكان كاتب الصحيفة " منصور بن عكرمة " فشلت يده .

وأحيوا ليلتهم بالتكبير والتهليل .. وما غفلت عيونهم .. من فرط النشوة والانتصار .. وأصبحوا ساعين إلى الكعبة يطوفون بها .. حامدين شاكرين .. لله رب العالمين .. نعمة النصر المبين .

((مهاجر إلى الله))

استجاب الله دعاء أم المؤمنين " خديجة " سيدة نساء العالمين .. وأمهلها حتى انقشعت الغمة .. ونقضت قريش الصحيفة ، وفك الحصار عن الأهل والأحباب .. وباءت قريش بالخيبة والبوار .

وهاهي الآن على فراشها تأخذ أحلى زينتها .. للقاء الحبيب الأول .. لقاء الله .. بعد أن اطمأنت على زوجها الحبيب .. فأخذت تتهيأ للقاء المرتقب .. بالذكر والتوحيد لا إله إلا الله .. محمد رسول الله (ﷺ) .

هكذا كانت تتزود قبل الرحيل .. ورسول الله (ﷺ) بجوارها يهون عليها سكرات الموت .. حتى لفظت آخر الأنفاس الطاهرة بنور الإيمان .. ومن حولها : " زينب " و " أم كلثوم " و " فاطمة " ، يحطن بفراشها الطاهر .. ويتزودن منها النور والإيمان والصبر والإحسان .

أما " رقية " فقد شاء الله لها أن تكون في أرض الغربة .. مهاجرة لله رب العالمين مع زوجها " عثمان بن عفان " من أذى المشركين فلا تشهد هذا المشهد الأليم .

وفي العاشر من رمضان من العام العاشر .. من البعثة .. حملت " خديجة " (رضى الله عنها) إلى الحجون حيث وسدها الرسول (ﷺ) الثرى بيديه .. ثم عاد إلى ابنتيه " أم كلثوم " و "فاطمة " يضمهما إليه .. ويواسيهما .. ويخفف عنهما هذا الخطب الجلل .

وأحس الرسول (ﷺ) أنه أصبح غريباً في مكة بعد رحيل " خديجة " فلقد كانت زوجاً وأماً .. وصاحبة ومعيناً .. وضاق به المقام .. فلقد هاجرت " خديجة "

(رضى الله عنها) إلى الله .. وهاهو محمد (ﷺ) يستعد ليهاجر إلى يثرب .. بأمر الله .

وذات صباح ودع الرسول (ﷺ) بناته " زينب " و "أم كلثـوم " و " فاطمـة " ثم ذهب إلى بيت الصديق أبى بكر فاصطحبه في رحلة الهجرة . وعلى مشـارف مكة وقبل لحظة الوداع .. ألقى المصـطفى (ﷺ) ببصـره علـى أرض النـور والبركة .. ومهد الطفولة والصبا ، ثم قال قولته المأثورة :

" والله إنك لأحب أرض الله إلى الله ، وإنك لأحب أرض الله إليّ ، ولـولا أن أهلك أخرجونى ما فارقتك " .

ومضى في رحلة النور يصحبه " الصـديق " إلـى الغـار ، وتـرك ابنتيـه " أم كلثوم " و " فاطمة " وحيدتين في بيت مهجور .. لا أنيس فيه إلا الله .

وفى يثرب : خرجت المدينة المنورة بنوره (ﷺ) على بكرة أبيها .. تسـتقبله بحبور .. وتغنى النور .. بصوت الحور .. في بشرى وسرور :

طلـع البـدر علينـا — مـن ثنيـات الـوداع
وجـب الشـكر علينـا — مـا دعـا لله داع
أيهـا المبعـوث فينـا — جئـت بـالأمر المطـاع
جئـت شـرفت المدينـة — مرحبـا يـا خيـر داع
فعليـك الله صـلى — مـا سـعى لله سـاع

((بشرى))

وجاءت البشرى بوصول النبى (ﷺ) سالماً ، وأقبل " زيد بن حارثة " ليصحب " أم كلثوم " و " فاطمة " إلى دار الهجرة .

أمضت " أم كلثوم " و " فاطمة " يوم الوداع مع أختهما " زينب " زوجة " أبى العاص " ثم أغلقت الدار التى امتلأت بالأنوار ، وشهدت أيام الصبا .. وسعين إلى الحجون حيث ودعن الأم في قبرها الوداع الأخير .. وروينه بالدموع .

وأخذت " أم كلثوم " بيد أختها " فاطمة " ومضت بها إلــى الركــب المهــاجر والدموع تنحدر من عينيها .. وهى تودع آخر مغانى مكة .. إلــى بلــد الحبيــب المصطفى (ﷺ) .

ومضى على الهجرة عامان حافلان بالأحداث .

وشهدت " أم كلثوم " انتصار المسلمين في بدر .. وعودة أبيها ظافراً .. كمــا شهدت موت شقيقتها الغالية " رقية " أنيستها ورفيقة عمرها .

وهاهو الدمع على " رقية " لم يجف بعد .. وهاهو " عثمان " يلازم أباها ويدنو منه .. ويلتمس منه العون والعزاء عن فقيدته الغالية .

وبدأت " أم كلثوم " تشعر بــذلك .. عنــدما ســمعت الرســول (ﷺ) يقــول " لعثمان " :

ما يبكيك يا " عثمان " ؟

- قال " عثمان " :

أبكى انقطاع صهرى منك يا رسول الله .

- فقال النبى (ﷺ) :

فهذا " جبريل " يأمرنى .. بأمر الله أن أزوجك أختها " أم كلثوم " علــى مثــل صداقها وعلى مثل عشرتها .

فتأكد لها ما سمعته : يوم جاء " عمر بن الخطاب " يشكو إلى رسول الله (ﷺ) من صاحبيه " أبى بكر " و " عثمان " .

لقد عرض عليهما واحداً بعد الآخر ، أن يتزوج من ابنته " حفصة " بعــد أن مات عنها زوجها " حصن بن حذافة " فسكت " أبو بكر " ، وأجاب " عثمان " :

ما أريد أن أتزوج اليوم !

وسمعت " أم كلثوم " أباها الرسول (ﷺ) يقول لعمر ملاطفاً :

يتزوج " حفصة " من هو خير من " عثمان " ويتزوج " عثمان " من هى خير من " حفصة " !!

وخفق قلبها لما سمعت !

فما من امرأة خير من بنت " عمر " غير بنت النبى (ﷺ) فهل تحل مكان أختها " رقية " في بيت " عثمان " ؟

وتعجبت لأن أباها لم يحدثها في هذا الأمر من قبل وعهدها بأبيها ألا يزوج بنتاً دون إذنها .. ثم قالت في نفسها .. وما أدرى لعله وحى من السماء .

ويشاء الله أن يجمع بين " أم كلثوم " و " رقية " مرة أخرى .. فتتزوج " أم كلثوم " من زوج أختها " عثمان بن عفان " فيجمعهما بيت واحد .. كما جمعهما من قبل بيت واحد .. وخرجت " أم كلثوم " إلى بيت " عثمان بن عفان " وعليها ثوب من حرير مثل الذى دخلت به " رقية " على " عثمان " .

وبعث النبى (ﷺ) " أم عياش " معها كما بعثها من قبل مع أختها " رقيـة " . فلما دنت من البيت الجديد .. أحست بطيف " رقية " يداعبها لدى الباب .. ويدخل معها فلا يفارقها أبداً .

– فهمست " أم كلثوم " تخاطب هذا الطيف الجميل بأسى :

" لم يبق يا " رقية " إلا أن ألحق بك حيث ترقدين ، فيجمعنا الموت .. كما جمعتنا الحياة " .

وأراد الله لها أن تعيش ستة أعوام تشهد فيها الإسلام وهو يبلغ مداه ، وتشاهد فيها أباها .. ينتقل من نصر إلى نصر .. ظافراً منتصراً .

---

(١) يشاء الله أن يجمع " رقية " و " أم كلثوم " في بيت واحد ست مرات :

البيت الأول : بيت أبيهما محمد (ﷺ) .

البيت الثانى : بيت " أبى لهب " وكانتا تحت " عتبة " و " عتيبة " ابنى " حمالة الحطب زوجتين.

البيت الثالث : بيت أبيهما محمد (ﷺ) مطلقتين من " عتبة " و " عتيبة " .

البيت الرابع : بيت " عثمان بن عفان " زوجتين له واحدة بعد الأخرى .

البيت الخامس : القبر الذى لا مفر منه .

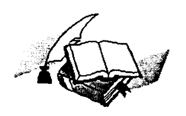
البيت السادس : الجنة إنشاء الله .

وفى شعبان سنة تسع .. جمع الله بين " رقية " و " أم كلثوم " مرة أخرى فـي بيت واحد .. ولكن هذه المرة ليس من بيوت الدنيا .. وإنما من بيوت الآخرة .. إنه القبر :

آخر منازل الدنيا .. وأول منازل الآخرة .

آخر بيوت الدنيا .. وأول بيوت الآخرة .

وواراها " عثمان بن عفان " ثرى " يثرب " إلى جانب أختها " رقية " ووقـف النبى الصابر المحتسب (ﷺ) على قبر ابنتيه .. تحفه الملائكة .. وتصـلى عليـه وعلى ابنتيه .. وعلى آله وصحبه وتسلم .



أم كلثوم

كوكب الإسلام

(رضى الله عنها)

يـــا كوكـــب ديـــن الإســـلامِ ... يـــا نجـــم الإيمـــان الســـامى
يـــا بنـــت الهـــادى مكرمـــة ... وتحيـــاتى لـــك وســـلامى
يـــا أخـــت رقيـــة فـــي النجـــوى ... ورفيقتهـــا فـــي الأحـــلامِ
هـــاجرت إلـــى الله بحـــب ... هجـــرة أشـــواق وغـــرامِ

يـــا كوكـــب ديـــن الإســـلام ... يـــا نجـــم الإيمـــان الســـامى
يـــا بنـــت الهـــادى معـــذرة ... مـــن قلـــب مشـــتاق ظـــامى
معـــذرة لـــم أقطـــف زهـــراً ... ورضـــيت بزهـــرة أيـــامى
والزهـــر تفـــوح روائحـــه ... مـــن هـــذا البســـتان الهـــامى
فـــالنور حدائقـــه شـــتى ... تـــروى فـــي مكـــة والشـــامِ
هـــذا النـــور يضـــىء حيـــاتى ... هـــالات حـــولى وأمـــامى
مـــن ينشـــده حبـــاً وهـــدى ... يســـتقبله فـــي الأكمـــامِ

يـــا راعيـــة حـــق الهـــادى ... دون قصـــور أو إحجـــامِ
يـــا أمـــا لـــم تنجـــب طفـــلاً ... كـــم أنجبـــت مـــن الأعـــلامِ
وحملـــت الأعبـــاء الكبـــرى ... دراً فـــي صـــدر الإســـلامِ
بعـــد رحيـــل الأم الكبـــرى ... وتولّيـــك أشـــق مهـــامِ
أشـــهد أنـــك يـــا ســـيدتى ... قـــد قمـــت بهـــا خيـــر قيـــامِ

واســـتقبلت البطـــل الحـــانى بالترحـــــاب وبـــــالإكرامِ
ومســـحت عليـــه بتحنـــان حتـــى طـــاب مـــن الآلامِ
فلقـــد كنـــت لـــه آســـية تكفيـــه جـــراح الأيـــامِ
وتفانيـــت علـــى راحتـــه حبـــاً فـــي نـــوم وقيـــامِ
وَمُفَتِّحَـــةً فـــي روضـــته ورداً مـــا بـــين الأكمـــامِ
وجعلـــت البيـــت لـــه مـــأوى وســـكوناً مـــن يـــوم دامِ
فلقـــد كنـــت لـــه مائـــدة عـــامرة مـــن غيـــر طعـــامِ
وقطعـــت حياتـــك صـــائمة والصـــوم ربيـــع الإســـلامِ
فالـــدنيا عنـــدك هينـــة وزخارفهـــا محـــض حطـــامِ
حتـــى صـــرت بـــه مرحمـــة وســـلاماً بـــين الأرحـــامِ
فرقيـــت فمـــا اجتـــازك راق وســـموت علـــى نجـــم ســـامِ
وفتحـــت ثمـــانى جنـــات وبلغـــت العـــز المترامـــى

كـــم نســـأل عثمـــان ونهفـــو مـــن عبـــر مئـــات الأعـــوامِ
فيجيـــب الكـــون بإيمـــان والـــدنيا فـــي شـــبه منـــامِ
قـــد كانـــت أمـــاً حانيـــة وخلاصـــة زهـــرة أيـــامى
تعتنـــق القـــرآن إمامـــا وتقدمـــه خيـــر إمـــامِ
وتحكمـــه فيمـــا يجـــرى نعـــم القاضـــى بالأحكـــامِ

يـــا كلثـــوم النـــور الهـــامى وســـقاء للقلـــب الظـــامى
يـــا أســـمى مـــن كـــان ورائـــى وخلاصـــة مـــن كـــان أمـــامى
ســـيرتكم نـــور للـــدنيا ومقـــامكمو خيـــر مقـــامِ
وبوجهـــك بشـــرى فـــردوس وعلـــى صـــدرك خيـــر وســـامِ

فاطمة الزهراء
سيدة نساء العالـمين
رضى الله تعالى عنها

عن أسامة بن زيد (رضى الله عنه) قال :

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول لفاطمة (رضى الله عنها) :

« **إن الله ليرضى لرضاك ويغضب لغضبك** »

" حديث شريف "

زهرة البيت

زهراء يا بنت الرسول ... أفديك فاطمة البتول
خير النساء جميعهن ... وخير أبناء الرسول
أم الحسين شهيد كرب ... والمقدم في الأصول
أم الحسين الكوكب النبوى ... والحسن العدول
جاءت طهارتها كتابا ... أذهلت فيه العقول
تركت جميع العالمين ... بما لديها في ذهول
صعدت بنجميها إلى ... الفردوس لا تبغى النزول
وقفت تدافع عن أبيها ... ضد كفار جهول
وترد أهل الشرك عنه ... فلا سبيل إلى الوصول
وجه كوجه المصطفى ... جمع السماحة والقبول
يا مهبط الآيات خضراً ... في الرحيل وفي الحلول
يا أصل كل فضيلة ... بيديك ينبوع الأصول
يا بنت مفخرة النساء ... خديجة زوج الرسول
مازلت سيدة النساء ... على التفرد والشمول
يا زهرة البيت الطهور ... وحبة الروح البتول
الزهر يذبل كله ... ورحيقه الشاذى يزول
لكن زهرتك الأنيقة ... ليس يدركها الذبول

تاج الدين نوفل

ما أكثر الكواكب في السماء ..
وما أقل الكواكب في الأرض ..

وعلى رغم هذا ..
فكواكب الرجال في الأرض كثيرة ..
وكواكب النساء في الأرض أربعة ..
" فقد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع :
مريم ابنة عمران ..
آسيا زوج فرعون ..
خديجة زوج محمد (ﷺ) ..
فاطمة بنت محمد (ﷺ)[1] ..

وهذه الكواكب وتلك النجوم .. تضيء لأهل الأرض .. كما تضيء التى في السماء .. لأهل السماء والأرض .. فما أحلى الكواكب .. وما أسمى النجوم .. في وقت الغيوم .. في عصر اشتدت فيه الظلمة .. ونفذت فيه السموم .

إن هذه الكواكب .. وتلك النجوم .. خلقت لتدوم .. بيد الحى القيوم .. ورسوله المعصوم (ﷺ) فتزرع الأمن في النفوس .. وترفع البلايا والنحوس .. عن كل مكروب ومنحوس .. وتحيى كل معدوم .. وتطلق كل محبوس .

إنها النور الساطع في الأرض .. الذى يحتوى الظلمات .. في شتى الجهات .. وهى البركات .. لمن يتلمس البركات .. فطوبى لمن تعلق قلبه بهذه

---

(١) من مأثور حديث النبى (ﷺ) .
وتقول عائشة (رضى الله عنها) :
" ما رأيت أحداً قط أفضل من فاطمة ، غير أبيها " .

الأنوار .. وتعلقت روحه بهذه الأزهار .. فتبارك وأنار .. وتخيرَّ فاختار .. لؤلؤة الأبرار .. وجوهرة الأطهار .. ومائدة الأزهار .. فتزين للجنة .. وتنكر للنار .

وهاأنذا أتناول معك أيها القارئ الكريم .. في شتى بقاع الأرض .. هذه الكواكب وهذه النجوم .. كوكباً كوكباً .. ونجمة نجمة .. عسى الله أن يعكس علينا ونحن بين أيديهم أنوارهم .. وأزهارهم .. وبركاتهم .. وأعمالهم .. فنتشبه بهم .. فلعل الله أن يثبت المشبه على المشبه به .. فلا يتزحزح أبداً .. وأن يلصق الصورة بالأصل .. فلا تتغير أمداً .

ولا عجب في هذا .. وهم القدوة والأسوة .. رجالاً ونسوة .. وهم الأصل ونحن الفرع .. فلا عجب أن تتشبه الفروع بالأصول .. وأن يتشبه القليل بالكثير .. والحسن بالأحسن .. والآخر بالأول .. والجميل بالأجمل .. والأمثل بالأمثل .

وفي هذا أقول :

وتشبهوا بالحسن تزدانوا به	**إن التشبه بالجميل جميلُ**
فالخير في زمن الأوائل كثرة	**والخير في هذا الزمان قليلُ**[(1)]

فإذا تشبه الإنسان بهم .. وكان له هدف وغاية .. وعرف البداية .. وأعد الوسيلة .. وصل إلى ما أراد .. وحقق المراد .

فإذا تحقق ما أراد .. بالصبر والجهاد .. فإن المحافظة عليه .. أشق من الوصول إليه .. فإن كان قد قطع المسافة في ساعة .. فإن المحافظة على ما وصل إليه .. تحتاج ألف ساعة .. فحدد الهدف .. وحدد الغاية .. وأعد الوسيلة .. واعرف البداية .. وانطلق برفق .. تحفك العناية .. فإذا ما وصلت لسلم الهداية .. أمسك عليك قلبك .. من عالم الغواية .. واتق الله .. فإنه البداية .. وإنه النهاية .. وغاية كل غاية .

(١) من شعر المؤلف .

«فاطمة الزهراء»

«سيدة نساء العالمين»

إنها الزهرة الفيحاء[1] .. والوردة البيضاء .. رمز الطهر والنقاء .. أصل الصفاء .. ومهد الحياء .. ونبع الوفاء .. سيدة النساء " فاطمة الزهراء " .

أم أبيها : المصطفى (ﷺ) فقد كان (ﷺ) يناديها كلما لقيها : أهلا بأم أبيها .. ويفرش لها رداءه (ﷺ) .

إنها " الزهراء " الوحيدة في الحسن .. الفريدة في الجمال والطهر .. سميت " الزهراء " .. : لطهرها ونقائها .. فهى الطاهرة ابنة الطاهرة .. السيدة ابنة السيدة .. سيدة نساء العالمين .. ابنة سيدة نساء العالمين .

إنها اللؤلؤة الوضيئة .. والجوهرة المضيئة .. الطاهرة البريئة .. في كل ذهاب وجيئة .. لم تعرف الخطيئة .. ولا عرفتها الخطيئة .. ولا الأفكار الدنيئة .. ولا الألفاظ الرديئة .. ولا الكلمات البذيئة .. فلم تختلط بحى .. ولم تركن لبيئة .. إنها " الزهراء " .. المشرقة .. ذات الضياء .. ليست كالنساء .. وليست كالناس .. فلا حيض ولا نفاس .. لقد كانت تضع مولودها وتقوم فتتوضأ وتصلى .. فلقد ولدت " الحسن " بعد العصر .. ولم تفتها صلاة المغرب .. وهكذا .

هي أقرب الناس شبها بأبيها .. وأحب الناس إليه .. وأقربهم من قلبه .. ولسانه وإن شئت مزيداً وتأكيداً .. فلك أن تستنشق هذه البديهيات .. وهذه الظواهر التى هي بين أيدينا .

١- لقد كنى النبى (ﷺ) " بأبى الزهراء " ولم يُكنَّ " بأبى زينب " مثلا أو " رقية " أو " أم كلثوم " وهن جميعاً أكبر منها سناً .. والأولى بالكنية المولود الأول .. على ما جرت به عادة العرب حتى الآن .. وما يقبله العرف والمنطق .. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مكانتها منه

---

(١) ولدت فاطمة الزهراء والكعبة تبنى والرسول (ﷺ) في الخامسة والثلاثين من عمره ، فكانت أصغر بنات النبى (ﷺ) وأحبهن إليه .. وكلهن من دوحة النبوة الباسقة الشامخة المباركة .

(ﷺ) وإن كان سر اقترابها منه وعطفه عليها ..هو موت أمها " خديجة " وهى صغيرة .. وخلو البيت عليها بزواج أخواتها .. وتحملها مع أبيهـا (ﷺ) لأذى الكفار والمشركين .. في كل مكان يذهب إليـه .. داعيـاً أو عابداً .

٢- دوام ذكره (ﷺ) لها في أحاديثه الشريفة .. وتعلقه بها .. فمثلا عندما نزل قوله تعالى :

((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)) [١]

نادى رسول الله (ﷺ) :

" يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم .. لا أغنى عنكم من الله شيئاً " .

" يا بنى عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً " .

" يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئاً " .

" يا صفية بنت عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئاً " .

" يا فاطمة بنت محمد ، سلينى ما شئت من مالى ، لا أغنـى عنـك مـن الله شيئاً " .

وهنا خفق قلب " فاطمة الزهراء " حباً وعاطفة وحناناً .. فهمسـت بخشـوع وجلال .. لنبى الكمال والجلال (ﷺ) :

" لبيك يا أحب والد .. وأكرم داع .. "

فلقد اختارها الرسول (ﷺ) من بين أبنائـه .. بـل مـن بـين أهـل بيتـه جميعاً .. ليثبت للدنيا جميعاً .. ويعلنها مدوية في سمع الزمان .. أنه لا يغنى مـن الله شيئاً عن أعز الناس عنده .. وأحبهم إليه .. وأقربهم منه .

فقد اختارها : مثلاً .. وأسوة .. وقدوة .. في هذا الموقف الجليل .. للعالمين .

وكأنه يقول : هذه قرة عينى .. وزهرة قلبى .. إذا كنت لا أغنى عنها من الله

---

(١) الشعراء (٢١٤) .

شيئا .. فهل يطمع غيرها .. أن يغنى عنه أحد من الله شيئاً . [1] ؟

وكأنه يقول : هاأنذا .. خاتم النبين .. وأول العابدين .. وأقرب الناس من رب العالمين .. وهذه " فاطمة " ابنتى أقرب الناس من خير المرسلين .. لا يملك أبوها لها من الله شيئاً .. فما بالكم بمن هو دون ذلك .. هل يملك شيئاً ؟

هذه واحدة .. تدل على قربها منه (ﷺ) بدوام ذكره لها .. وهذه أخرى :

فلقد حدثوه (ﷺ) في أمر " المخزومية " التى سرقت .. وأشــفقت قــريش أن يقطع النبى (ﷺ) يدها .. فتشفعوا " بأسامة بن زيد " .. وكان حــب رســول الله (ﷺ) فقال له الرسول (ﷺ) :

أتشفع في حد من حدود الله ؟!! وغضب رسول الله (ﷺ) وامتقع لونه .. وكان لا يغضب قط إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله تعالى .

وإذا غضبت فإنما هى غضبة ... في الحق لا ضغن ولا شــحناء

ثم قال له النبى (ﷺ) :

أتشفع في حد من حدود الله ؟!

ثم قال (ﷺ) :

إنما أهلك من قبلكم : أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه .. وإذا ســرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ..

وايم الله .. لو أن " فاطمة " بنت " محمد " سرقت لقطعت يدها ..

---

(١) كان لفاطمة الزهراء شرف البشرى في معجزة الإسراء والمعراج فهى التى فتحت الباب لجبريل عليه السلام ليدخل على رسول الله (ﷺ) ففى حديث الإسراء والمعراج لابن عباس (ﷺ) : أن رسول الله (ﷺ) كان في بيت أم هانئ ليلة الإثنين السابع والعشرين من رجب وكانت معه فاطمة الزهراء ، وعمرها تسع سنين ! .. وإذا بالباب يطرق .. فتخرج فاطمة لتــرى : مــن بالباب .. فترى شخصاً ، عليه الحُلىُ والحلل .. فتقول فاطمة : ما تريــد ؟ يقــول : أريــد محمداً .. فترجع وتدخل على الرسول (ﷺ) تستأذن للطارق .. فيخرج النبى (ﷺ) فيراه .. فإذا به جبريل .. إلخ .

انظر وتأمل في هذا القسم النبوى :

وايم الله .. لو أن " فاطمة .. بنت " محمد " .. وخص " فاطمة " ..

ولم يقل :

بنت " محمد " على الإطلاق ..

وإن دل هذا على شىء .. فإنما يدل على مكانتها .. من رسول الله (ﷺ) فلقد كان دائما يختارها في ضرب الأمثال .

٣- كان لصغر سنها أثر كبير في تتبعها لخطوات أبيها (ﷺ) فقد كانت في سن مبكرة .. أتاحت لها الخروج من البيت .. خلف أبيها .. تتبع أخباره .. في أندية قريش .. ومحافلها .. أثناء نشره لدعوة الحق .. وملاقاته في سبيل ذلك من الأذى .. والعنت .. والافتراء .

وهى لا تنسى يوماً مازال مطبوعاً في خيالها .. يوم أقبل المعصوم (ﷺ) يمشى إلى الكعبة حتى استلم الركن .. فلما لمحه المشركون وثبوا عليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به ، وهم يقولون له معنفين :

أنت الذى تقول كذا .. وكذا .. وتسفه أحلامنا .. وتسب آلهتنا .. ؟

فقال الرسول الصادق الأمين (ﷺ) :

نعم ، أنا الذى أقول ذلك ..

وارتعدت " فاطمة " .. وارتعشت فرائصها .. وهى ترى رجلاً فظاً .. يأخذ بتلابيب النبى (ﷺ) .. فوجمت .. وأصابها الذعر .. والدموع تلاحقها .. حتى قام " أبو بكر " (ﷺ) يذود دون النبى (ﷺ) وهو يقول باكياً .. عبارته التى تهتز لها الأركان .. ويئن لها الزمان :

" أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ؟! " [1]

كل هذا مما أتاح " لفاطمة الزهراء " (رضى الله عنها) أن تتمكن من قلب أبيها .. وتتربع على عرشه من البشر .. فقد سئلت عائشة (رضى الله عنها) عن أحب الناس إلى النبى (ﷺ) ؟

- فقالت (رضى الله عنها) :

" فاطمة الزهراء "

- قيل : من الرجال .. ؟

- قالت :

زوجها على (كرم الله وجهه) .

هذا .. ولقد كانت " فاطمة الزهراء " (رضى الله عنها) تتبع خطوات أبيها (ﷺ) حتى في ميادين القتال .. فقد أسرعت إلى ميدان الجهاد تضمد الجراح .. وتأسو الجرحى .. وتسقى المحتضرين من شهداء المسلمين في موقعة " أحد " .

وكفاها فخراً .. إلى يوم القيامة .. أن يقول فيها والدها " محمد صلى الله عليه وسلم " النبى الخاتم :

" إن الله ليرضى لرضاك .. ويغضب لغضبك "

وجاء في أكثر من أثر وباختلاف الروايات :

---

(١) أ- كانت فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) ترى السفيه من سفهاء قريش يعارض الرسول (ﷺ) وينثر على رأسه التراب .. فتقوم " فاطمة إلى أبيها تغسل عنه الأذى وهى تبكى فيقول لها الرسول (ﷺ) " لا تبكى يا بنية ؛ فإن الله مانع أباك " .

ب- كما شاهدت " فاطمة فيما شاهدت " عتبة بن أبي معيط " يضع سلا جزور (ما يخرج من بطن الجمل من أمعاء وخلافه) على ظهر رسول الله (ﷺ) وهو ساجد .. فتتقدم فاطمة (رضى الله عنها) وترمى بما على ظهر رسول الله (ﷺ) وهى تبكى .. وتدعو على من يؤذى رسول الله (ﷺ) .

" كانت " فاطمة " أصغر بنات النبى (ﷺ) وأحبهن إليه "

ولعل " لامنس " المستشرق المتعصب .. قد جانب الحق وعانق الهوى حين قال :

((إن المؤرخين المسلمين تناسوا " فاطمة الزهراء " فلم يحفلوا بها أول الأمر ، حتى إذا ظهرت فكرة التشيع في الإسلام ، عادوا يطيلون الحديث عنها ، وأخذت شهرتها تذيع وتنتشر .. على حين ظلت أخواتها وليس لهن ذكر ولا عنهن حديث)) .

ولعل أنسب رد على هذه السفسطة .. ما يلى :

١- إن مؤرخى السيرة الإسلامية يؤرخون للإسلام والرسالة .. ولم يكن الإسلام والرسالة في حاجة إلي بسط سيرتهن وتاريخهن أكثر من هذا .. خاصة وأنهن لم يخضن حرباً ولا معركة .. ولا كان لهن من الشأن في سياسة الرسول الداخلية ولا الخارجية .. ما يدفع المؤرخ إلى المزيد من السرد في تاريخهن الحافل أكثر من ذلك .

٢- إن الذى حفلت به كتب السيرة عن هؤلاء الطاهرات .. بنات النبى (ﷺ) سواء في كتب الحديث الستة .. أو كتب السيرة وعلى رأسها ما كتبه شيخ الكتاب " ابن إسحاق " أو رأس مؤرخى الإسلام " الطبرى " (رضي الله عنه) .. ليكفى للتأريخ لقائد عظيم .. من قواد الأمم العظام .. بل أكثر من ذلك .. لو أنه تريث قليلاً دون تعصب أو إجحاف ..

٣- إن المؤرخ " لامنس " نسى أو تناسى البيئة الإسلامية العربية .. التى تحفظ للأسرة كيانها .. ولا تأذن بالاختلاط .. الذى يساعد على تناقل الآثار .. كما هو الحال عندهم في الغرب .. تلك الحياة المكشوفة .. التى تعود عليها " لامنس " من اختلاط الحابل بالنابل .. والطيب بالخبيث .. في المجتمعات الغربية المفتوحة .. مما يتيح الفرصة للانتشار .. والتقاط الأخبار .

إن الحياة الإسلامية .. عامة .. وبيت النبى (ﷺ) خاصة .. الذى يمثل صورة الإسلام الحقيقية .. كان بيتاً آمناً مطمئناً .. يستقبل البطل القادم من دعوته فيخفف عنه العناء .. ويمسح عنه الآلام التى يلاقيها من عنت المعاندين .. وكبر

المكابرين .. دون تدخل منه في شأن الدعوة .. التى هى بوحى السماء .. وبتوجيه من الله سبحانه وتعالى .. فالبيت مكان المرأة في الإسلام .. فلا تخرج المرأة من بيتها إلا بشروط أربعة :

(١) إذا كانت في حاجة إلى عمل .. ليس لها من يغنيها عنه .

(٢) أن يكون العمل الذى تؤديه .. عملاً شريفاً خفيفاً ، يليق بطبيعتها كامرأة .

(٣) أن يكون عملاً لا خلوة للرجل فيه بالمرأة .

(٤) أن ترتدى الثياب التى تسترها .. فلا تشف ولا تلفت ولا تصف إلا الوجه والكفين .

هذه هى الشروط التى لا تخرج المرأة إلا بها ..

ولعل بعض المستشرقين .. ظلموا أنفسهم .. وظلموا غيرهم .. حين حكموا على بيت النبى (ﷺ) : أنه بيت قائد .. أو عظيم من العظماء .. فحسب .. كلا إنه بيت نبى مرسل ..

وإن بيت النبى ليس كالبيوت ..

وإن النبى (ﷺ) مثل البشر في أشياء .. وليس كالبشر في أشياء .. هذا قوله (ﷺ) في كتاب الله تعالى :

«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» [1] " وقوله " إنى لست كهيئتكم ...... "

وإن نساء النبى (ﷺ) لسن كالنساء .. بنص الآية القرآنية :

«يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» [2]

وكذلك آل البيت الأطهار ..

فإذا حكم حاكم عليهم ورفعهم على البشر .. فقد ظلم البشر .

وإذا حكم حاكم عليهم وساواهم بالبشر .. فقد ظلمهم .. لأن أفعالهم وأعمالهم

---

(١) الكهف (١١٠) .

(٢) الأحزاب (٣٢) .

سنن من السماء .. يسنونها للناس .. فلا يتساوى .. الحالب بالشارب أبداً .. إلا بما قدم .

((الغصن الطاهر))

ترعرعت " فاطمة الزهراء " في بيت النبوة .. كما يترعرع الغصن الندى إذا أقبل عليه الربيع .. واحتضنه الندى يوما بعد يوم .. وأصبحت " فاطمة الزهراء " محط الأنظار .. وملقف الأبصار .. من الأخيار .. الأبرار .. من أصحاب النبى المختار (ﷺ) .

حتى تقدم لخطبتها .. " أبو بكر الصديق " و " عمر بن الخطاب " .. ولكن الحبيب المصطفى .. ردهما برفق رداً جميلاً .. لعلمه (ﷺ) أن (فاطمة لعلى) وأن (علياً لفاطمة) وما أشبه هذا بقصته مع " حفصة " ابنة " عمر " (رضي الله عنه) عندما جاءه " عمر يشكو إليه " عثمان " الذى رده رداً جافاً .. حين عرض عليه الزواج من " حفصة " .. واعتذر إليه .

فقال المصطفى (ﷺ) :

لا تحزن يا عمر .. ستتزوج " حفصة من هو خير من " عثمان " .

وسيتزوج " عثمان " من هى خير من " حفصة ".

كلمة بليغة لا تخرج إلا ممن أوتى جوامع الكلم .. وشفافية النبوة .. وكان .

فتزوج النبى (ﷺ) من " حفصة " وهو خير من " عثمان " ..

وتزوج " عثمان " من " رقية " وهى خير من " حفصة " ..

فلما ماتت " رقية " تزوج من أختها " أم كلثوم " فقد جمع ابنتين من بنات النبى (ﷺ) ولهذا سمى بـ " ذى النورين " .

ما أشبه هذه بتلك !!

إنها " الزهراء فاطمة " التى تتهافت القلوب عليها .. وكيف لا وهى ملكة الحسن والكمال والجلال والجمال .. فقد جمعت محاسن النبوة .. وطهارة الأبوة .. وأصالة الأمومة .. وشفافية الوحى .. وصفاء القلب .. والنور من لدن آدم حتى خاتم الأنبياء (ﷺ) .

اختار لها النبى (ﷺ) " على بن أبى طالب " وأخبرها أن هذا اختيار السماء .. فما كان لها أن تختار بعد اختيار الله لها .. فرضيت بما اختاره الله ورسوله .. وحمدت الله على ذلك .. تقدم " علىّ " لخطبتها على استحياء .. ولم يستجمع قواه إلا بعد مرات ومرات .. ولم يزد الرسول (ﷺ) عن قوله له : أهلا ومرحباً .

ويعود على (ﷺ) إلى أهله وكانوا فى انتظاره : يسائل نفسه : بماذا أجيبهم ؟ فما زالوا به حتى قال لهم :

ما زاد النبى (ﷺ) عن قوله لى : مرحباً وأهلا !

هتفوا جميعاً ..

يكفيك من رسول الله إحداهما .. لقد أعطاك الأهل .. وأعطاك الرحب !

ولقد كان " على بن أبى طالب " فقيراً .. شديد الفقر .. وهو القائل " لو كان الفقر رجلاً لقتلته " .

فقد كان لا يملك شيئاً .. اللهم إلا درعاً كان قد غنمها يوم بدر[1] .. دفعها مهراً للسيدة " فاطمة الزهراء " سيدة نساء العالمين .. باعها رسول الله (ﷺ) بأربعمائة وسبعين درهما .. دفعها " عثمان بن عفان " وحملها " على " ووضعها بين يدى النبى (ﷺ) فتناولها بيده الكريمة .. ثم دفعها إلى " بلال " ليشترى ببعضها طيباً وعطراً .. ثم يدفع الباقى إلى " أم سلمة " لتشترى جهاز العروس .

ثم دعا الرسول (ﷺ) صحابته .. فأشهدهم على العقد .. بزواج ابنته " فاطمة الزهراء " من " على بن أبى طالب " على أربعمائة مثقال من فضة ، على السنة القائمة والفريضة الواجبة ، وختم خطبة الزواج بمباركة العروسين الهاشميين

---

(١) كانت تسمى الحطمية (أى التى تحطم السيوف) .

والدعاء لهما بالذرية الصالحة ثم قدم إلى الضيوف وعاء تمر .

وببساطة شديدة تمت خطبة " فاطمة الزهراء " وعقدت أعظم مصاهرة في تاريخ الإسلام .

وببساطة أشد تم عقد القران في شهر رجب من السنة الأولى للهجرة ، وتم الزفاف في السنة الثانية ، واحتفل بنو عبد المطلب بهذا الزواج .. كما لم يحتفلوا بزواج مثله من قبل [٢].

وجاء حمزة .. عم النبى (ﷺ) وعم " على " بشارفين فنحرهما .. وأطعم الناس بمدينة الرسول (ﷺ) .

فلما تم الاحتفال .. وانصرف الجمع مهنئين مباركين ، دعا الرسول (ﷺ) " أم سلمة " فطلب إليها أن تمضى بالعروس إلي بيت " على " ولينتظراه هناك .

وأذن " بلال " لصلاة العشاء .. فصلى النبى (ﷺ) بالمسلمين .. ثم غادر إلى دار " على " حيث دعا بماء فقرأ عليه بعض آى القرآن .. ثم أمر العروسين أن يشربا منه ، وتوضأ بالباقى ونثره على رأسيهما ، وهمَّ بعد ذلك بالانصراف وهو يقول :

اللهم إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .. اللهم بارك فيهما .. وبارك عليهما .. وبارك لهما ، وأخرج منهما الحلال الطيب .. إنك على ما تشاء قدير .. فلم تتمالك " فاطمة " دمعها .. فتمهل الأب برهة .. وحنا عليها مهوناً عليها الأمر .. وهمس إليها .. قائلاً :

لقد زوجت خير النساء .. لخير الرجال .. وهاأنت وديعة عند خير الناس إيماناً .. وأكثرهم علماً .. وأسماهم خلقاً .. وأعلاهم شرفاً .

ثم انصرف .. فطاف " بفاطمة " طيف من أمها " خديجة " في ليلتها الأولى .. فهمست تتمتم .. ها هى " خديجة " أمى تحت التراب .. وها هو أبى يتركنى وحيدة .

---

(٢) تقول " أم أيمن " : وليت جهاز " فاطمة " وكان جهازها وسادة من أدم حشوها ليف ، وقربة ، ومنخلاً ، ومنشفة ، وقدحاً ، وغطاء مفروشاً في بيتها .

وظلت فترة على هذه الحالة .. حتى دنا منها " علىّ " فانتبهت .. وقامت فتوضأت .

وعكفت تصلى ركعتين .. ركعتين .

ما أتمت ركعتين حتى بدأت في أخريين .. حتى أتمت اثنتى عشرة ركعة وعلىُّ ينتظرها على مضض .. فهذه ليلة زفاف .. وهذا اليوم .. يوم فرح .. وهذه الصلاة غير مكتوبة .. فلماذا كل هذا .

– وعندما انتهت من صلاتها .. سألها " على كرم الله وجهه " قائلاً :

ألا تريديننى زوجاً لك يا " فاطمة " .. ؟

" وهو هنا يتذكر يوم أن تقدم لخطبتها من أبيها (ﷺ) ورفضها له .. لولا أن أخبرها النبى (ﷺ) : أن هذا اختيار الله ورسوله ".

– قالت له :

نعم الزوج أنت يا " على " !! ولكننى تذكرت القبر ووحشته .. والموت ورهبته .

فإن كنت وجدت أنيسى في الدنيا وهو أنت يا " على " .. فمن يكون أنيسى في قبرى ؟

فأدرت أن أصلى ركعات في ليلة عرسى .. يكن في القبر أنسى .

وقفت بحجرة زوجها	تأبى الخروج أو الدخول
والزوج ينتظر الفراغ	من الصلاة على فضول
فإذا أتمت نفلها	والزوج فى قلق .. يجول
قالت له يا زوجى البر	الصلاة هى الوصول
وأردت بدء محبتى	لك بالصلاة على الرسول
ليكون محرابى هنا	نوراً لقبرى فى الطلول
فلنتق المولى معاً	فلعلنا نلقى القبول
وجه كوجه المصطفى	جمع السماحة والقبول

يـــا أصـــل كـــل فضـــيلة	بيـــديك ينبـــوع الأصـــول
فـــالزهر يـــذبل كلـــه	ورحيقـــه البـــاقى يـــزول
لكـــن زهرتـــك الأنيقـــة	لـــيس يـــدركها الـــذبول[1]

((حلاوة الآخرة))

انظر إلى " فاطمة " .. إلى سيدة النساء .. إلى ابنة خير الرجال .. ابنة محمد (ﷺ) وخذ منها أسوة حسنة .. وقدوة طيبة .. والتمس منها نوراً .. ولا عجب في هذا .. وهى ابنة الرسول (ﷺ) الذى علمها دائماً : أن تتجرع مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة .

فيروى أن النبى (ﷺ) :

ذهب إليها (رضى الله عنها) ذات يوم .. فوجد في معصمها أسورتين من فضة .. فغضب رسول الله (ﷺ) وتركها وانصرف .. فألقت ما في يدها .. وعادت إليه تائبة .. مستغفرة فقال لها الرسول (ﷺ) :

" يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة "[2]

ولا غرو في هذا .. فهى سيدة نساء العالمين .. ومن كانت سيدة نساء العالمين حق لها .. بل حق عليها .. أن تؤثر الباقى على الفانى .. وأن تتجرع مرها وعلقمها .. لتفوز بنعيمها وكوثرها .. وتفوز قبل ذلك برضوان الله الذى منحه لها في الدنيا .. والآخرة .

فإن نساء النبى وبناته .. لسن كالنساء والبنات ..

قال تعالى : ((**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**))[3]

---

(١) من شعر المؤلف (ديوان لؤلؤ ومرجان) .

(٢) يقول على بن أبى طالب (رضي الله عنه) :

تزوجت فاطمة (رضى الله عنها) ومالى ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ، ونعلف عليه الناضح بالنهار ..! ومالى ولها خادم !..

(٣) الأحزاب (٣٢) .

فإذا كان نساء النبى لسن كأحد من النساء .. فما بالك ببنات النبـــى (ﷺ) وإذا كانت بنات النبى (ﷺ) أولى " ففاطمة " أولى وأولى .. وهى السيدة الأولى وابنـــة السيدة الأولى .. وابنة السيد الأول (ﷺ) .

وذات يوم سأل النبى (ﷺ) ابنته وقرة عينه " فاطمة الزهراء " قائلا لها :

ما أحب الأشياء إلى المرأة يا فاطمة ؟

- قالت :

أن لا ترى رجلاً وألا يراها رجل ..

- فضمها الرسول (ﷺ) إليه وهو يقول :

" ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم "

هذه هى النفوس الطاهرة .. والقلوب العامرة .. والأصلاب الذكية .. والأرحام النقية .. وهذه هى الذرية .

((ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))[1]

((في يد الله أولاً))

ويروى أن رسول الله (ﷺ) شاهد ابنته " فاطمة الزهراء " وكان معها درهـــم تجلوه وتطيبه .. فسألها الرسول (ﷺ) ماذا تفعلين يا فاطمة ؟

- قالت :

إنه درهم أجلوه وأطيبه ..

- فقال لها (ﷺ) :

ولم كل هذا يا فاطمة ..؟

---

(١) آل عمران (٣٤) .

- قالت (رضى الله عنها) :

لأعطيه مسكيناً ..

- فقال لها النبى (ﷺ) :

أو كلما جاءك مسكين فعلت له ذلك ؟!

- قالت : نعم ..

لأنى سمعت حبيبى (ﷺ) يقول :

إن الصدقة تقع في يد الله .. قبل أن تقع في يد المسكين .. فأحب أن تقع صدقتى في يد الله طيبة معطرة .

فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ..

فابتسم لها الرسول (ﷺ) ودعا لها ..

((ذكاء نادر))

وذات يوم افتخرت أمامها " عائشة " أم المؤمنين .. ومعها كوكبة من النسوة .. وقالت :

أنا البكر الوحيدة التى تزوجها رسول الله (ﷺ) :

فأثار هذا " فاطمة الزهراء " .. وحرك فيها عاطفتها الجياشة .. وذكرها بأمها " خديجة " سيدة نساء العالمين .. فأرادت أن تثأر لأمها بالحق .. وهى في الدار الآخرة .

فقالت لها بذكاء نادر .. وبديهة حاضرة .. وأدب جم :

إذا كنت أنت يا أم المؤمنين يا عائشة .. البكر الوحيدة التى تزوجها رسول الله (ﷺ) فإن أمى خديجة هى الوحيدة التى تزوجت رسول الله ورسول الله بكر لم يتزوج !

أى عقل هذا ؟! أى فطنة هذى ؟!

إنه الإسلام الذى رباهم على الحق .. وذكى فيهم الجوارح .. وألهم فيهم الحواس .. فغدوا يتكلمون بنور الحق .. ويرون بنور الله .

((الحسنة بعشر أمثالها))

وذات يوم مرضت السيدة " فاطمة الزهراء " .. مرضا شديداً .. وكان " على " رجلاً فقيراً .. لا يملك من حطام الدنيا شيئاً .. ولكنه رغم هذا .. لا يدخر وسعاً أن يبذل لها كل غال ونفيس .. حتى تبرأ من مرضها هذا .

وبينما فاطمة على فراشها تئن وتبكى .. إذ نادت علياً .. وهمست إليه :

إنها تريد تفاحة .. فما كان من على إلا أن قال لها :

إنشاء الله آتيك بها .. يا أعز إنسانة في الوجود .

وعمد " على " إلى أحد أوعية بيته القليلة .. وباعه في السوق واشترى بثمنه تفاحة .. وحملها في جلبابه .. ولم تسعه الدنيا من السعادة .. أن لبى طلب زوجته المريضة طريحة الفراش .. وظل يدعو : – لعل الله – يجعل فيها الخير .. ويكون شفاؤها فيها .. ويبتهل إلى الله أن يبارك له في زوجته .. وأن تقوم من مرضها هذا .

وبينما هو كذلك إذ لقيه رجل مسكين .. فسأله عن هذا الذى معه ..

– فقال على (كرم الله وجه)

إنها تفاحة اشتريتها لزوجتى ..

– فقاطعه الرجل قائلاً ..:

تصَدَّق علىّ بها يا علىّ .. فوالله لم يدخل فمى طعام منذ ليلة أمس ..

فأخرج علىّ (كرم الله وجهه) التفاحة .. وقدمها للرجل دون تردد ..

وعاد " علىّ " إلى بيته .. قلقاً .. حرجاً .. ماذا يفعل ؟ وماذا يقول ؟ ..

هل يبيع شيئاً آخر ؟ ولم يبق بالبيت شيء يباع ؟!

وبينما هو في قلقه هذا يقوم ويقعد .. ويذهب ويأتي .. إذ طرق الباب طارق .. وإذا برسول من عند رسول الله (ﷺ) يحمل كيساً " لعلى " و " فاطمة " ففتحه (ﷺ) فوجد به تسع تفاحات .. فقال " على (ﷺ) للرجل .. بفراسته المعهودة ولكن أين التفاحة العاشرة .. ؟

– فقال الرجل :

وما يدريك يا على أن الرسول أرسل إليك عشراً ؟

– قال (كرم الله وجهه) :

لقد تصدقت بتفاحة الآن .. والحسنة بعشر أمثالها .. ((**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**)) [1]

– فقال الرجل :

صدقت يا " علىّ " .. لقد أخفيتها لأختبر فراستك .. وها هى .. فاغفر لى .

– فقال (كرم الله وجهه) :

غفر الله لى ولك ..

ثم أعطاه علىُّ ثلاث تفاحات .

((الحسنى وزيادة))

لقد كان (ﷺ) في بيته مع " الزهراء " نسمة صافية .. وبسمة حانية .. وكان يخاف عليها من الهواء .. ويغار عليها من النسيم .. ولا غرو في هذا .. وهو الفدائى الأول في الإسلام .. وهو ابن عم النبى (ﷺ) وهو مَنْ (كرم الله وجهه) وهو من هو في تاريخ الإسلام .. منزلة ومكانة .

(1) الأنعام (١٦٠) .

يروى أنه دخل عليها ذات يوم .. فوجد في يدها سواكا تستاك به .. ـــعه بين شفتيها .. وهـــذا الســـواك يؤخـــذ مـــن شـــجرة تســـمى " الأراك " ـطهـــرة للفم .. مرضاة للرب .. فأثار هذا غيرة الإمام .. فأخذ السواك من يدها .. في حب ومودة .. ورقة ومحبة .. وظل يناجى السواك .. ويهنئه أن لامس شفتيها .. وبلل بريقها العذب .

وأخذ يداعبها في بيتين من الشعر .. ويقول :

هنئت يا عود الأراك بثغرهـــا ... ما خفت يا عود الأراك أراكـــا
لو كان غيرك يا سواك قتلتـــه ... ما فاز منى يا ســـواك ســـواكا

نعم ..

لقد كانت بيوتهم حباً وسعادة .. وكانت قلوبهم ذكـــراً وعبـــادة .. فاســـتحقوا الحسنى وزيادة .

((عرفت الله))

إن نفساً لم يشرق الحب فيهـــا ... هى نفس لم تدر مـــا معناهـــا
أنا بالحب قد وصلت إلى نفسى ... وبالحـــب قـــد عرفـــت الله

أليس هو القائل .. معتزاً بنسبه إلى " محمد " (ﷺ) وآل بيته الأبرار ، ومعتزاً بنسبه إلى الإسلام :

" محمد " النبى أخى وصهرى ... " وحمزة " سيد الشهداء عمى
" وجعفر" الذى يمسى ويضحى ... يطير مع الملائكة ابـــن أمـــى
وبنت " محمد " سكنى وعرسى ... منوط لحمها بـــدمى ولحمـــى
وسبطا " أحمد ولـــداى منهـــا ... فـــأيكم لـــه ســـهم كســـهمى
سبقتكم إلـــى الإســـلام طـــراً ... صغيراً ما بلغـــت أوان حلمـــى
وصليت الصلاة وكنـــت فـــرداً ... فمن ذا يدعى يومـــاً كيـــومى

«رؤيا صالحة»

وفى صبيحة يوم مشرق وضاء .. تلألأت شمسه بالضياء .. أخذ الرسول مجلسه بين أهله عقب صلاة الضحى .. وإذا بامرأة من البيت الهاشمى .. تستأذن عليه في مجلسه .. فأذن لها .. فأقبلت في خجل واستحياء .. متثاقلة الخطى .. وئيدة الحركة .. تعلو وجهها الكآبة والحزن .. ويظهر على صورتها القلق والاضطراب .

ولما تأملها النبى (ﷺ) فإذا هى " لبابة أم الفضل " زوج عمه العباس (رضي الله عنه) فهش لمقدمها .. وسر للقائها .. وأخذ يهيئ لها المجلس .. إعظاماً لقدرها وتقديراً لما يربطها بشخصه الكريم من صلة الرحم والقربى .

ثم أخذت مجلسها حيث كان .. وأقبل عليها الرسول (ﷺ) يؤانسها ويحدثها ويسألها عما وراءها من أخبار تتصل بقريش .. وتدور حول مكة .. وتتعلق بشئون الإسلام والمسلمين .

ولكن " أم الفضل " قد جاءت لغير ذلك كله .. وكانت واجمة عبوساً .. وساكنة صموتاً .. لم تبادل الرسول (ﷺ) ابتساماً ولا ترحيباً كأنما تحمل بين طياتها خبراً عظيماً .. أو هماً جسيماً .

تعجب أهل البيت من شأنها .. وارتابوا في أمرها .. وتوجسوا خيفة من ذلك الوجوم .. فأقبل عليها الرسول (ﷺ) في حرص ولهفة .. يستوضحها الأمر ويستبينها الخبر .. وقال لها في لطف ولين مرة أخرى :

ما وراءك يا " أم الفضل " ؟

– فقالت :

أمر مزعج ، أقلق خاطرى ، وكدر مضجعى .. وأدخل على نفسى الأحزان والأشجان .

– فقال النبى (ﷺ) :

وما ذاك يا " أم الفضل " ؟

وأرهف سمعه إليها !!

وساد البيت صمت رهيب ، وخيم عليه سكون كئيب .

وما لبثت أم الفضل .. أن مزقت حجاب ذلك الصمت ..

– فقالت وهى تلتقط أنفاسها :

رؤيا أفزعتنى يا رسول الله ..

– فقال لها النبى (ﷺ) :

هات يا " أم الفضل "

– قالت وهى وجلة خائفة :

لقد رأيت الليلة : أن عضوا من أعضائك قطع من جسدك الشريف ، وألقى به في بيتى ، فهالنى ما رأيت يا رسول الله .

وما إن فَرَغَتْ من قص رؤياها .. حتى علت وجه النبى (ﷺ) ابتسامة مضيئة ، وقال لها :

لا تخافى يا " أم الفضل " ولا تحزنى إنها رؤيا مباركة ، وبشارة ميمونة ، وخبر سار جميل .

إن فاطمة تلد ولداً ذكراً ، وتلقى به إليك لترضعيه !!

يا للفرحة .. ويا للبشرى التى فاضت على وجه " أم الفضل " .. إنه الأمل المرتقب ، جرى على شفتى الرسول (ﷺ) الذى لا ينطق عن الهوى .. فخفقت له القلوب .. وابتهجت له النفوس .. واستبشرت به " أم الفضل " صاحبة الرؤيا ومصدر البشرى .. وربة ذلك الشرف الذى لا يدانيه شرف .. والمقام الذى يقصر دونه كل مقام .

إنها المرضعة لابن النبى (ﷺ) والمربية لابن " فاطمة الزهراء " فقد شاء الله أن يجعل ذرية نبيه (ﷺ) في ذرية " فاطمة وعلى " فهل كان هذا الاختيار السماوى الكريم من توفيق الله لها ؟!

إن ذلك ما تأمله " أم الفضل " وتطمع فيه .. وإلا فكيف اختارتها السماء لذلك الشرف وأعدها الله لتلك الكرامة .

((سيدا شباب أهل الجنة))

وولدت السيدة " فاطمة الزهراء " سيدة نساء العالمين " الحسن " وفرح النبى (ﷺ) وتصدق بزنة شعره فضة .. ولما بلغ الحسن عاماً أو بعض عام .. رزقت " فاطمة " بمولودها الثانى " الحسين " ليجتمع لها سيدا شباب أهل الجنة " الحسن والحسين " وكان ذلك في العام الثالث والرابع الهجرى .. وأنجبت بعدهما " محسن " ولكنه مات صغيراً .

وكان النبى (ﷺ) يحتفى بالحسن والحسين أيما احتفاء ، ويحيطهما بحبه وعطفه وحنانه .. فكان يقول (ﷺ) :

" هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما .. فأحبهما ، وأحب من يحبهما "

- ولقد سأل على (كرم الله وجهه) النبى (ﷺ) ذات يوم :

أيهما أحب إليك يا رسول الله ؟

" فاطمة الزهراء " أم " على بن أبى طالب " ؟

- فأجاب النبى (ﷺ) :

" فاطمة " أحب إلىّ منك .. وأنت أعز علىّ منها .

لقد آثر الله " الزهراء " بالنعمة الكبرى ، فحصر في ولدها ذرية نبيه المصطفى (ﷺ) وحفظ بها أشرف سلالة عرفتها العرب منذ كانت ، كما كرم الله وجه " على " فجعل في صلبه نسل خاتم الأنبياء ، فكان له من هذا الشرف : المجد والسؤدد في الدنيا والآخرة .

فلا عجب أن دعا أولاد " فاطمة " و "على " بأولاده كما كان يفعل .

فعن أنس بن مالك أن (ﷺ) كان يقول لفاطمة (رضى الله عنها) :

" ادعى لى ابنى . فإذا ما جاءا إليه شمهما وضمهما " .

وعن " أسامة بن زيد " أنه قال :

" طرقت باب رسول الله (ﷺ) في بعض الحاجة ، فخرج رسول الله (ﷺ) وهو مشتمل على شيء لا أدرى ما هو فلما فرغت من حاجتى قلت : ما هذا الذى أنت مشتمل عليه يا رسول الله ؟

" فكشفه ، فإذا الحسن والحسين وقال : هذان ابناى وابنا ابنتى ، اللهم إنى أحبهما فأحبهما ، وأحب من يحبهما " .

وعاش الحسن والحسين في كنف النبى (ﷺ) وحنانه ورعايته المطلقة .. حتى أنه (ﷺ) كان لا يطيق أن يسمعهما يبكيان .

فكان يقول لفاطمة :

أو ماعلمت أن بكاءهما يؤذينى .. ؟

وكانت فاطمة تداعب الحسن مرة .. والحسين مرة وهى تقول :

إن ابنى شبه النبى .. ليس شبيهاً بعلى [1]

فقد كانا صورة من النبى (ﷺ)

وكان (ﷺ) ينام لهما .. ويحملهما على ظهره .. ويقول لهما (ﷺ) :

نعم الجمل جملكما .. ونعم الراكبان أنتما ..

وكان يقول :

" الحسن والحسين ريحانتاى " .

وكانا يصعدان على ظهره وهو ساجد فيكره أن يعجلهما حتى يقضيا حاجتهما فيرفع من سجوده (ﷺ) ..

وكان أبو بكر (ﷺ) يقول : من سره أن ينظر إلى النبى (ﷺ) فلينظر إلى الحسن والحسين .

---

[1] كان الحسن (ﷺ) أشبه برسول الله (ﷺ) ما بين الصدر إلى الرأس .. وكان الحسين (ﷺ) أشبه به من الصدر إلى القدمين . فقد جمعا خلق المصطفى وخلقه .

وتمر الأيام .. وتضع فاطمة مولودتها الأولى .. ويسميها الرسول (ﷺ) : " زينب " تبركا بابنته " زينب " الكبرى .. ولما وضعت " الزهراء " مولودتها الثانية سماها النبى (ﷺ) : " أم كلثوم " تبركا بأم كلثوم الكبرى أخت " فاطمة " وكأن النبى (ﷺ) قد أراد بهذا : أن تظل بناته معه .. إن لم يكن بأجسامهن فبأسمائهن وأرواحهن .

((لا يجتمعان .. كفر وإيمان))

ولما رجع رسول الله (ﷺ) من فتح مكة ظافراً منتصراً .. وأعلن " على بن أبى طالب " عن خطبته : " جويرية " بنت أبى جهل " أبى الحكم بن هشام " .

فذهبت فاطمة إلى أبيها المصطفى (ﷺ) وقالت له :

يا رسول الله : يزعم الناس أنك لا تغضب لبناتك .. وهذا أبو الحسن قد خطب ابنة " أبى جهل " وقد وعد بالنكاح .

فقام رسول الله (ﷺ) على المنبر خطيباً فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر " أبا العاص بن الربيع " زوج " زينب " بنت النبى (ﷺ) فأثنى عليه في صهره ثم قال :

إنما " فاطمة " بضعة منى ، وإنى أخشى أن تفتنوها .. والله لا تجتمع بنت رسول الله (ﷺ) وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبداً .

- فقال على (كرم الله وجهه) لرسول الله (ﷺ) :

والله لا آتى شيئاً تكرهه أبداً .

- فقالت فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) :

غفر الله لك يا بن العم .

ولما مرض النبى (ﷺ) مرضه الذى مات فيــه ، وذهبــت إليــه " فاطمــة الزهراء " لتعوده (ﷺ) قال لها : مرحبا .. يا ابنتى ..

وأجلسها عن يمينه ..

– وتروى عائشة فتقول :

فناداها النبى (ﷺ) وأَسَرَّ إليها حديثاً .. فخرجــت بعــده تبكــى .. فناداهــا الثانية .. وأَسَرَّ إليها حديثاً .. فشرعت بعده تضحك .

فقالت عائشة وهى تنظر لما يجرى ..

يا بنت رسول الله (ﷺ) :

أخبرينى بما ناجاك به أبوك ؟

قالت " فاطمة " (رضى الله عنها) :

ما كنت لأفشى سر رسول الله (ﷺ) .

ولما مات النبى (ﷺ) سألت " عائشة " فاطمة " قائلة :

يا " فاطمة " : إننى منك بمكانة أمك .. ناشدتك الله أن تخبرينى ذلك الخبر .

قالت " فاطمة " (رضى الله عنها) :

أما الآن فنعم :

ناجانى في المرة الأولى : فأخبرنى أن جبريل يعارضه القرآن في كــل عــام مرة ، وأنه عارضه القرآن العام مرتين ، وأخبره أن عيسى عليه الســلام عــاش عشرين ومائة سنة ، ولا أرانى ذاهب على رأس الستين .. وأخبرنى أنه يموت في مرضه هذا ، فأبكانى ذلك .

وناجانى في المرة الثانية :

فأخبرنى أنى أول أهله لحاقاً به .. وقال : " إنك سيدة نساء أهل الجنة " فضحكت .

لقد قال (ﷺ) يوم رزق الزهراء ..

وكانت المولودة الرابعة .. :

هى ريحانة أشمها ..

وقال يوم مات :

هى سيدة نساء أهل الجنة ..

فطوبى لها بين ريحانتين ..

«أول من يجوع
وآخر من يشبع»

وكان النبى (ﷺ) قد خرج ذات ليلة .. إلى بيت " فاطمة الزهراء " ينشد علياً .. فلم يجده .. فقالت له " فاطمة " :

لقد خرج يلتمس للأولاد رزقاً ..

فمكث النبى (ﷺ) قليلاً حتى أتى " علىُّ " مجهداً من أثر العمل .

فسلم .. ورحب بخير الخلق (ﷺ) ثم نادى " فاطمة " أن تحضر " الحسن والحسين " فأخبرته " فاطمة " : أنهما ناما ..

فبكى " علىُّ " كرم الله وجهه ..

- فقال له الرسول (ﷺ) :

ما يبكيك يا على ؟

- قال :

لقد نام " الحسن والحسين " من غير عشاء يا رسول الله .

– فقال له الرسول الكريم (ﷺ) :

أتبكى أن نام " الحسن والحسين " من غير عشاء ؟! والله هذا رابع يوم لم يدخل فم نبيك طعام .

وكان " علىُّ " قد خرج إلى أعالى المدينة .. يطلب عملاً .. فوجد امرأة قد جمعت تراباً متلبداً .. تريد بله بالماء .. فبادلها كل ذنوب بتمرة ، فملأ لها ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يده وانسلخت ، فبسط كفه لترى أثر العمل ، فعدت له ست عشرة تمرة ، فأخذها وذهب إلى بيته .. حيث كان رسول الله (ﷺ) عند " فاطمة " (رضى الله عنها) فسر رسول الله (ﷺ) بما صنع .. وأكل معه منها .

فإن خير الطعام .. ما كان عن كد يمين ، وعرق جبين ..

فقد قال رسول الله (ﷺ) :

" ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده .. وإن نبى الله " داود " (ﷺ) كان يأكل من عمل يده "[1]

ولهذا كان على (كرم الله وجهه) يقول :

عزة

لحمل الصخر من قمم الجبالِ أحب إلىّ من منن الرجالِ
يقول الناس لى : فى الكسب عارٌ فقلت العار فى ذل السؤالِ

((انظر .. وتأمل ..))

انظر إلى هؤلاء الصفوة .. وتأمل .. كيف ذاقوا من الجوع والحرمان .. من أجل تمام البنيان .. ولو أراد أحدهم أن يكون ملكاً .. لكان .. ولكنه الثبات على المبدأ .. وكمال الإيمان .

(١) رواه البخارى .

أليسوا هم القائلين :

نحن أول من يجوع إذا جاع الناس ..

ونحن آخر من يشبع إذا شبع الناس .

« مرارة في الدنيا
حلاوة في الآخرة »

وذات يوم مرض " الحسن والحسين " وهما طفلان صغيران ، فنذر عليُّ وفاطمة إن برئا أن يصوما ثلاثة أيام .. شكراً لله .

فشفاهما الله .. فصاما ، وليس عندهم قليل ولا كثير ، فاستقرض " عليُّ " ثلاثة آصع من شعير ، فطحنت " فاطمة " صاعاً منها ، وخبزته في اليوم الأول ، ووضعت الطعام للإفطار .

فجاءهم مسكين يشكو الجوع ، فأعطوه الطعام ! ..

وصنعت في اليوم الثانى .. ما صنعته في اليوم الأول ، فجاءهم يتيم يشكو الجوع .. فأعطوه الطعام !..

وفي اليوم الثالث .. صنعت ما صنعته في اليومين السابقين ، فجاءهم أسير يشكو الجوع .. فأعطوه الطعام !..

ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء !

وهكذا ..

كانت حياتهم ..

فقد كانوا .. يتجرعون مرارة الدنيا .. وقسوة الحياة .. سعداء بذلك لأن قرة أعينهم .. أن يجدوا ما تشتهيه أنفسهم في بطون المساكين واليتامى .

ولا يظن أحد أن هذا كان عن ضيق أو ضجر .. كلا .. وإنما عن حب وسعادة .. ألم يقل فيهم ربهم .. العالم سرهم ونجواهم :

((وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً)) (١)

لقد كانوا يفعلون ذلك وهم سعداء .. تغمرهم السعادة بأجنحتها وريشها ..

لقد كانوا في سعادة لو علمت الملوك بها .. لقاتلتهم عليها ..

ذلك لأنهم عاشوا لله .. وفي الله .. وبالله .. يتجرعون مرارة الدنيا .. لحلاوة الآخرة .. ويوقنون معنى قول ربهم :

((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) (٢)

((مشاهد الزهراء))

وها نحن الآن بالمدينة المنورة .. بنور المصطفى (ﷺ) وها هي " فاطمة الزهراء " ((أم أبيها)) .. كما كان يناديها المصطفى (ﷺ) أراها نوراً يمشى على الأرض .. وكوكباً يتهادى بين النجوم .. من آل البيت الأطهار .. واللآلئ الأبرار .. تحف بأبيها .. وتحيط به .. كظله الظليل .. تدفع عنه الأذى .. وتنشر معه الهدى .. وتستقبل معه الندى .. وتشهد بناء المسجد النبوى .

وتدفق المهاجرين إلى المدينة .. حول النور ..

والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ..

والأذان ..

وتحويل القبلة شطر المسجد الحرام ..

وغزوات الرسول الأولى ..

وغزوة بدر الكبرى ..

ثم تشهد بعد ذلك بمكة " فتح مكة " وتشاهد أباها المصطفى (ﷺ) وهو في كوكبة من الصحابة ، وحوله وخلفه الجيش الإسلامى الظافر .. يفتحون مكة منتصرين مستبشرين بنصر الله ..

---

(١) الإنسان (٨) .

(٢) آل عمران (١٨٥) .

وصدق الله العظيم : «إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً» [1]

وصدق الله العظيم : «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» [2]

«وفاة الرسول»

لقد شهدت " الزهراء " الأحداث الكبرى .. في تاريخ الإسلام .. وفي عصر الرسول (ﷺ) وكان الحادث الأكبر .. هو وفاة أبيها : المصطفى (ﷺ) في ١٢ من ربيع الأول من العام الحادى عشر للهجرة ٨ يونيو ٦٣٢ من الميلاد .

فلما اشتد المرض برسول الله (ﷺ) جعل يتغشاه ما يتغشاه ! ..

فقالت فاطمة : واكرباه على أبتاه ..!

فقال (ﷺ) :

« ليس على أبيك كرب بعد اليوم ».

فلما مات الرسول (ﷺ) قالت (رضى الله عنها) :

" يا أبتاه : أجاب رباً دعاه " ..

" يا أبتاه : جنة الفردوس مأواه " ..

" يا أبتاه : إلى جبريل ننعاه " .

فلم يبق أحد بالمدينة .. لم يسمع صوت " الزهراء " وهى تبكى أباها المصطفى (ﷺ) إلا وتقطعت أوصاله .. وتشنجت أحباله .. من هيبة المشهد .. وجلالة الموقف .. الذى أخذ بالقلوب .. وأودى بالألباب .. وهى تصرخ وتنادى :

أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب ؟!

ثم ذهبت إلى القبر النبوى المبارك .. قبر المصطفى (ﷺ) وأخذت بيديها حفنة

---

(١) الفتح (١) .

(٢) القصص (٨٥) .

من ترابه .. واستنشقتها بشوق زائد ، وأخذت تبكى والهة .. وتقول شعراً يأخذ بالألباب .. ويعصر بالقلوب .. :

اغبر آفاق السـماء وكـورت	**شمس النهار وأظلم العصـران**
والأرض من بعد النبى كئيبـة	**أسفا عليـه كثيـرة الرجفـان**
فليبكه شرق الـبلاد وغربهـا	**ولتبكه مضـر وكـل يمـانى**
وليبكه الطور المعظـم جـوه	**والبيت ذو الأستار والأركـان**
يا خاتم الرسل المبارك وصفه	**صلى عليـك منـزل الفرقـان**

فلم يسمعها إنسان .. أيا كان .. إلا بكـى معهـا .. ورق لحالهـا .. وكيـف لا .. وهى تبكى أعظم رجل في تاريخ بنى الإنسان .

((موعد ولقاء))

عاشت " فاطمة " بعد رحيل النـور النبـوى : حزينـة الفـؤاد .. جريحـة النفس .. تنتظر لقاءه القريب .. كما وعدها أبوها المصطفى (ﷺ) حين قال لها : أنت أول أهل بيتى لحاقاً بى .

فلقد فقدت أمها .. فكـان المصـطفى (ﷺ) لهـا نعـم الأب والأم .. والأخ والحامى .. والحبيب والقريب .

ففقدت بوفاة أبيها .. العون والسند في كل هؤلاء وأولئك .

وعاشت ستة أشهر بعد موت المصطفى (ﷺ) أطول من سـتة أعـوام .. لا تعرف البسمة شفتيها .. ولا يكحل الكرى عينيها .. اللهم إلا غفلات مـن عيـون الليل .. حتى لحقت بأبيها .. وأغمضت عينيها إغماضة الخلود .

وجاءت الوفاة ، ليلة الثلاثاء .. لثلاث خلون من رمضان من العـام الحـادى عشر للهجرة .. لتزف إلى جنة عرضها السموات والأرض .. تستقبلها السماء بعد السماء .. والملائكـة إثـر الملائكـة .. والولـدان بعـد الولـدان .. بالمسـك

والزعفران .. في زفاف لم تشهد له السماء مثيلاً من قبل .. تحلق في سماء الخلد .. وتلحق بالرفيق الأعلى .. والحبيب الأوفى (ﷺ) .

وكانت كرامتها حاضرة مباركة يوم موتها ..

فقد قالت " لأم سلمة " وكانت بجانبها : أحضرى لى ماء للغسل يا أماه .

فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ! ..

ثم لبثت ثياباً جديدة .. كانت قد أعدتها من قبل .. ثم قالت :

اجعلى فراشى وسط البيت !

فاضطجعت عليه ، واستقبلت القبلة ، وقالت لها :

إنى سأموت الساعة ، وقد اغتسلت ..

فلا يكشفن لى أحدٌ كفنا !

فماتت ..! فجاء علىُ .. فأخبرته .. فاحتملها .. ودفنها بغسلها ذلك .. وصلى " العباس " على " فاطمة " ونزل هو و " علىُ " و " الفضل بن العباس" في حفرتها ودفنت في زاوية من دار " عقيل " وسط حشد من الصحابة (ﷺ) يتقدمهم أبو بكر الصديق (ﷺ) .

لتطوى صفحة النور الخالدة ، ولا يبقى منها إلا بعض سطور من نور ساطع تخطها ذرية " الحسن والحسين " و " زينب " [١] و " أم كلثوم " [٢].. على مر العصور .

وقد حمى الله مصر ببعض هذا النور الذى احتضنه أرضها من ذرية المصطفى (ﷺ) .

عاشت فاطمة (رضى الله عنها) في بيت " علىٍّ " (كرم الله وجهه) تشاطره السراء والضراء .. والبؤس والرخاء .. والرسول (ﷺ) يظللهما برعايته .. ويكنفهما بعنايته .. يذهب إليهما ويطمئن عليهما .. يوما بعد يوم .. بل

---

(١) هى المدفونة في القاهرة وقد توفيت عام ٦٢ هـ .

(٢) أم كلثوم تزوجها عمر بن الخطاب و لم تنجب .

ساعة بعد ساعة .. فهما إما عنده .. أو هو عندهما .. وكان إذا ذهـب .. وقـف بالباب وسلم واستأذن ؟.. فيؤذن له .. فيقول : أثم أخي .

– فتقول له " أم أيمن " :

بأبي أنت وأمي ، يا رسول الله : من أخوك ؟!

– قال : عليٌ .

– قالت : وكيف يكون أخوك ، وقد زوجته ابنتك ؟!

– قال : هو ذاك ، يا " أم أيمن " !

وإن دل هذا على شيء .. فإنما يدل على مكانة " عليٌ " في نفس النبي (ﷺ) وكفاه فخراً إلى يوم القيامة .. قول النبي (ﷺ) فيه .

" إنه سيد في الدنيا .. وإنه في الآخرة لمن الصالحين ! " .
" أنا مدينة العلم " وعليٌ " بابها " .
" زوجت خير النساء لخير الرجال " .
" عليٌ وفاطمة أحب اثنين إليَّ ! ".

وكفاه زهواً .. أن اختاره النبي (ﷺ) زوجاً لابنته " الزهراء " .. دون " أبـي بكر " " وعمر " (رضي الله عنهما) فقـد رد رسـول الله (ﷺ) " أبـا بكـر الصـديق " رداً جميلاً .. عندما جاءه خاطباً " فاطمة الزهراء " كما رد " عمر بن الخطاب " عندما جاءه لذلك .. وقال لهما : انتظرا بها القضاء .. فأحس " أبو بكر " و " عمـر " أن الرسول (ﷺ) قد ادخرها " لعلي " فهمسا إليه بخطبتها .. وعلما أن هـذا وحـي السماء ، فكفاه فخراً وعزاً وزهواً أن زوَّجته السماء . [1]

وكفاه عزاً أن جعل الله ذرية نبيه محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين .. في ذريته .. فكرم الله وجهه .. بأن جعل في صلبه نسل خاتم الأنبياء .. ليظفر بمجـد الدنيا وعز الآخرة .

(١) ويوم أن بلغ الزهراء أن النبي (ﷺ) " اختار علياً زوجاً لها بكت بكاء شديداً فدخل عليها الرسول (ﷺ) " فقال : ما يبكيك يا فاطمة ؟! والله لقد زوجتك أكثرهم علماً ، و أفضلهم حلماً ، وأولهم سلماً . ثم إن علياً .. اختيار الله .

– فعن النبى (ﷺ) قال :

" أنا شجرة " " وفاطمة " حملها ، " وعلىُّ " لقاحها ، " والحسن والحسين " ثمرتها ، ومحبونا – أهل البيت – ورقها .. حقاً حقاً : أن يكونوا معنا في الجنة " .

وعنه (عليه الصلاة والسلام) :

" أهل بيتى شجرة : أصلها ثابت وفرعها في السماء " .

" علىُّ منى ، وأنا منه ! من كنت مولاه ، فعلى مولاه ! ".

وكانت " أم سلمة " (رضى الله عنها) قد قالت :

في بيتى نزلت الآية :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1]

فأرسل رسول الله (ﷺ) إلى " فاطمة " " وعلىٍّ " و " الحسن والحسين " ..

فقال : " هؤلاء أهل بيتى " .

وذات يوم جاء رسول الله (ﷺ) ومعه " علىُّ " و " الحسن " و " الحسين " آخذا كل واحد منهما بيده ، حتى دخل ، فأدنى " علياً " و " فاطمة " ، وأجلس " حسناً " و " حسيناً " كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهما كساءه ، وتلا هذه الآية الكريمة :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

– وقال :

" اللهم هؤلاء أهل بيتى "

– ثم قال الرسول (ﷺ) لفاطمة (رضى الله عنها) :

" أنا وإياك وهذان : " الحسن " و " الحسين " ، وهذا الراقد .. يعنى " علياً " في مكان واحد يوم القيامة ! "

أرأيت هذا الحب ؟!

---

(١) الأحزاب (٣٣) .

وسمعت عن هذه المحبة ؟!

إنه حب من السماء .. ممزوجاً بحب الله تعالى .. وبحب لله تعالى .. وبحب في الله تعالى .. من الرسول الحبيب (ﷺ) إلى الأحبة .. فتسمعه يقول :

" عليٌ وفاطمة والحسن والحسين : أنا حرب لمن حاربهم ، وسلم لمن سالمهم "

تقول " عائشة " الصديقة (رضى الله عنها) :

" ما رأيت أحداً من الناس .. كان أشبه بالنبى (ﷺ) كلاماً ولا حديثاً ولا جلسة من فاطمة .. ! وكان إذا رآها .. قد أقبلت .. رحب بها .. ثم قام إليها فقبلها .. ثم أخذ بيديها ، فجاء بها حتى يجلس في مكانه .. !

وكان إذا أتاها رحبت به ، ثم قامت إليه وقبلته .. !"

وبعد معركة أحد ، جاء رسول الله (ﷺ) فناول ابنته فاطمة سيفه ، وقال لها :

" اغسلى عن هذا دمه ، يا بنية .. فوالله لقد صدقنى اليوم "

ثم ناولها عليٌ سيفه ، وقال :

وهذا أيضاً ؛ فاغسلى عنه دمه ! .. فوالله لقد صدقنى اليوم .. !

فلقد كانا أحب اثنين إلى رسول الله (ﷺ) .

ومع هذا الحب العظيم .. وتلك المحبة العميقة .. ومع تلك الأبوة الرحيمة .. وهذه النبوة الكريمة .. التى تربط بين رسول الله (ﷺ) و " فاطمة " و " علىّ " .. برباط لا انفصام له .. إلا أن النبى (ﷺ) لم يجاملهما يوماً على حساب المسلمين .. ولم يمنحهما شيئاً لا يستحقانه .. رغم حاجتهما الماسة .. ومعاناتهما الشديدة .

فلقد كان (ﷺ) يحول بين " الحسن " و " الحسين " .. وتمرة من مال المسلمين .. ويمنعهما منها وهما طفلان صغيران .. مجرد التمرة .. ويقول :

" نحن لا نأكل الصدقة "

ولما تشققت يدا علىٍّ من أثر العمل .. وكلَّت يدا فاطمة من أثر الرحى .. !

وهما من هما عند المصطفى (ﷺ) ذهبا إلى النبى (ﷺ) يطلبان خادمة من السبايا والغنائم التى عاد بها النبى (ﷺ) من إحدى غزواته .. تعينهما على حالهما .. خاصة وأن فاطمة كانت قد أنهكتها سنون الحصار .. وعناء الهجرة .. والجهاد في سبيل الله .. فقال لهما الرسول (ﷺ) :

" والله لا أعطيكما .. وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم ، لا أجد ما أنفق عليهم ! .. ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم .. "

انظر إلى الإمام ..

انظر إلى الحاكم العادل .. محمد بن عبدالله (ﷺ) لم تأخذه الرحمة بابنته " الزهراء " .. وهى من هى عند أبيها .. ولم تأخذه الرأفة بابن عمه علىّ وزوج ابنته .. وهو من هو عند المصطفى (ﷺ) ولكن .. أخذته العدالة .. والأمانة .. التى بين يديه ..

نظر إلى ابنته وزوجها بعين .. ونظر بالعين الأخرى إلى فقراء المسلمين .

نظر بقلبه إلى " الزهراء " و " علىّ " .. ونظر بعقله إلى اليتامى والمساكين .

ثم قالها صريحة خالدة .. بأمانة مطلقة .. وعدالة صادقة .. ولم يتردد لحظة واحدة :

" والله لا أعطيكما .. وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم ، لا أجد ما أنفق عليهم ! .. ولكن أبيع وأنفق عليهم من الثمن .. ".

قالها الرسول واضحة جلية .. عادلة قوية ، يريد بها وجه الله دون سواه .. مع علمه أن هذا يغضب " فاطمة " وزوجها .. ولكن غضب الدنيا يهون أمام غضب الله تعالى .. وذلك في ميزان المؤمن صادق الإيمان .

إن هذا الحب العظيم .. الذى تتمتع به " فاطمة " وزوجها " علىّ " في قلب المصطفى (ﷺ) لم يشفع لهما في جارية ممن عند رسول الله (ﷺ) مع علم النبى (ﷺ) بما يعانيان من تعب ومشقة .. لكنه الإيمان الكامل .. الذى يوجب على صاحبه أن لا يجامل في حق من حقوق الله .

قالها الرسول (ﷺ) وقلبه يشفق على ابنته وزوجها وأولادهما .. ويدعو الله لهما أن يثيبهما عن ضيق الدنيا بسعة الآخرة .

وظل الرسول (ﷺ) مشغولا نهاره كله بابنته فاطمة .. وزوجها عليّ .. وقد مست شكواهما شغاف قلبه (ﷺ) بعد أن انصرفا شاكرين .

ولما سكن الليل .. خرج الرسول (ﷺ) إليهما .. وكان البرد شديداً والريح عاصفة .. ولم تطاوعه نفسه أن ينام دون أن يراهما .. فإذا بهما يرقدان على فراشهما البالى .. يحاولان النوم فلا يأتيهما .. وقد انكمشا في غطائهما مقرورين ، إذا غطيا رأسيهما بدت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما انكشف رأساهما فهما للقائه (ﷺ) فابتدرهما قائلاً :

مكانكما ! ..

– ثم أقبل نحوهما متلطفاً وقال :

ألا أخبركما بخير مما سألتمانى ؟

– قالا : بلى يا رسول الله !

– قال : كلمات علمنيهن جبريل :

تسبحان الله في دبر كل صلاة عشراً ..

وتحمدان الله عشراً .. وتكبران الله عشراً ..

وإذا أويتما إلى فراشكما : تسبحان ثلاثا وثلاثين ..

وتحمدان ثلاثا وثلاثين .. وتكبران ثلاثا وثلاثين ..

ثم انصرف الرسول الكريم (ﷺ) بعد أن اطمأن عليهما .. وأودعهما سراً إلاهياً .. ومدداً سماوياً .. وغذاء روحياً .. تزول معه الصعاب .. وتنقشع معه الهموم .

وفي ظل هذا البلسم .. وبين حنايا هذا الترياق .. زال عن " الزهراء " كل ما كانت تشكوه .. ورحل عن " عليٍّ " كل ما كان يلقاه .

ولم يزل " علىُّ " و " فاطمة " (رضي الله عنهما) يصفان هذا الدواء الإلهى لكل من يشتكى من داء .. أو يعانى من عناء .. ولم يتركاه في ليل أو نهار .. منذ أن تعلماه حتى لقيا الله تعالى .

وكان على (كرم الله وجهه) يقول لأصحابه وأصفيائه :

" تعلموهن .. تعلموهن .. تعلموهن .. فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رســول الله (ﷺ) ! " .

- فسأله أحدهم :

" ولا ليلة صفين ؟ " .

- فأقسم علىُّ :

" ولا ليلة صفين ! " .

«إيثار»

- قال صاحب الروض الفائق :

روى أبو هريرة (رضي الله عنه) !

أن " أبا بكر الصديق " و " على بن أبى طالب " (رضي الله عنهما) قدما يوماً إلــى بيــت رسول الله (ﷺ) .

- فقال على " لأبى بكر " :

تقدم فكن أول قارع يقرع الباب .. وألح عليه .

- فقال " أبو بكر " :

تقدم أنت يا " على " ..

- فقال " على " :

ما كنت لأتقدم على رجل .. سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في حقه :

" ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل أفضل من " أبى بكر الصديق " .

– فقال " أبو بكر " :

ما كنت لأتقدم على رجل سمعت رسول الله (ﷺ) يقول فيه :

" أعطيت خير النساء لخير الرجال " .

– فقال " عليُّ " :

أنا لا أتقدم على رجل سمعت رسول الله (ﷺ) يقول فيه :

إذا اجتمع الناس يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، ينادى مناد من قبل الحق عز وجل :

" يا " أبا بكر " أدخل أنت ومحبوبك الجنة " .

– فقال " أبو بكر " :

أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله (ﷺ) :

يجيء " عليُّ " يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة .. فينادى مناد : يـا " محمد " : كان لك في الدنيا والد حسن ، وأخ حسن ، فأما الوالد الحسن : فـأبوك " إبراهيم " ، وأما الأخ الحسن " فعلى بن أبى طالب " .

– فقال " على " :

أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول (ﷺ) :

((لو وزن إيمان الأمة في كفة ، وإيمان " أبى بكر " في كفة لرجح إيمان " أبـى بكر)).

– فقال " أبو بكر " :

أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول (ﷺ) :

إن " عليا " يجيء يوم القيامة ، ومعه زوجه وأولاده على مركب مـن البـدن فيقول أهل القيامة :

أى نبى هذا ؟

فينادى مناد : هذا حبيب الله " على بن أبى طالب " .

- فقال على :

أنا لا أتقدم على رجل قال الله في حقه :

((وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) [1]

- فنزل " جبريل " عليه السلام على النبى (ﷺ) .. وقال :

يا محمد .. العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك :

إن الملائكة لينظرون هذه الساعة إلى " أبى بكر " و "على " يسمعون ما يجرى بينهما فقم إليهما .. وكن ثالثهما .. فإن الله قد خصهما بالرحمة والرضوان .. وخصهما بحسن الأدب .. والإسلام والإيمان .

فخرج النبى (ﷺ) فوجدهما كما أخبره " جبريل " .. فقبل وجه كل منهما .. وقال :

" والذى نفس محمد بيده لو أن البحار مداداً .. والأشجار أقلاماً ، وأهل السموات والأرض كتاباً .. لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما " .

((وصف على (كرم الله وجهه)))

وحتى تتضح الصورة أكثر .. وتتجلى لنا وتظهر .. لنعرف من هو الإمام " على " (كرم الله وجهه) زوج " الزهراء " ورابع الخلفاء .. وأول الفداء .. نستمع إلى " ضرار " وكان من أصحابه (كرم الله وجهه) وقد جلس أمام " معاوية " يصف " علياً " بعد استشهاده ، فيقول :

كان والله بعيد المدى .. شديد القوى .. يقول فصلاً .. ويحكم عدلا .. يتفجر العلم من جوانبه .. وتنطق الحكمة من نواحيه .. يستوحش من الدنيا وزهرتها .. ويستأنس بالليل ووحشته .. وكان والله غزير العبرة .. طويل الفكرة .. يقلب كفه .. ويخاطب نفسه .. يعجبه من اللباس ما قصر .. ومن الطعام

(١) الزمر (٣٣) .. نزلت في أبي بكر (رضي الله عنه) .

ما خشن .. وكان فينا كأحدنا .. يجيبنا إذا سألناه .. وينبئنا إذا استنبأناه .. ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا .. لا نكاد نكلمه لهيبته .. ولا نبتدئه لعظمته .. يعظم أهـل الدين ، ويحب المساكين .. لا يطمع القوى في باطله .. ولا ييأس الضـعيف مـن عدله .. وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه .. وقد أرخى الليل سدوله .. وغـارت نجومه .. وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته .. يتململ تململ السليم .. ويبكى بكاء الحزين .. ويقول :

يا دنيا غرى غيرى .. ألى تعرضت ؟ أم إلى تشوقت ؟

هيهات هيهات .. قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير .. وخطـرك حقير .. آه من قلة الزاد .. وبعد السفر .. ووحشة الطريق .

- فبكى معاوية .. وقال :

رحم الله أبا الحسن .. !

فلقد كان كذلك ..

فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟

- قال ضرار :

حزن من ذبح وحيدها في حجرها .

إلى هذا الحد كانت تقواه .. وخوفه من الله ..!

ومع هذا الورع .. وذلك الزهد .. وتلك التقوى .. والخوف من الله في السـر والعلن .. كان يقول :

حسن ظنى

إلهـى لا تعـذبنى فـإنى ... مقر بالـذى قـد كـان منـى
فمـا لـى حيلـة إلا رجـائى ... بعفوك إن عفوت وحسن ظنى
فكم من زلة لى فـي الخطايـا ... عضضت أناملى وقرعت سنى
يظن الناس بى خيـراً وإنـى ... لشر الخلق إن لم تعف عنـى

هذا ..

ولم تكن حياة " فاطمة الزهراء " سيدة نساء العالمين .. مترفة ولا ناعمة .. بل كانت حياة زهد وتقشف وخشونة .. مع زوج فقير لا يملك من حطام الدنيا شيئاً .

وكان عليٌ (كرم الله وجهه) يصف ذلك فيقول :

" بتنا ليلة بغير طعام .. فأصبحت فخرجت ، ثم رجعت إلى " فاطمة " عليها السلام .. وهى حزينة .. فقلت :

ما لك يا فاطمة ؟

- قالت :

لم نأكل منذ أمس .. وليس عندنا طعام .

فخرجت واشتريت طعاماً ولحماً بدرهم ، ثم أتيتها به فخبزت وطبخت ، فلما فرغت .. قالت :

لو أتيت أبى دعوته .

فأتيت رسول الله (ﷺ) وهو مضطجع في المسجد .. يقول :

" أعوذ بالله من الجوع "

- فقلت :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله عندنا طعام .. فهلم ..

فتوكأ على حتى دخل والقدر تفور ..

- فقال لفاطمة :

" اغرفى لعائشة " فغرفت في صحفة ..

- ثم قال :

" اغرفى لحفصة " فغرفت في صحفة .. حتى غرفت لنسائه التسع ..

– ثم قال :

" اغرفى لأبيك .. وزوجك " .. فغرفت ..

– ثم قال :

" اغرفى فكلى " فغرفت .. ثم رفعت القدر .. وإنها لتفيض .. فأكلنا منها ما شاء الله " .

وزار النبى المصطفى (ﷺ) فاطمة يوماً .. وهى تطحن بالرحى .. وعليها كساء من وبر الإبل .. فبكى الرسول (ﷺ) إشفاقاً عليها .. وأخفى دموعه عنها .. وقال لها :

" تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة .. "

وكثيراً ما كان يقول لها تلك المقولة .. التى تهز الجبال الرواسى .

وحدث ذات يوم .. أن كانت (رضى الله عنها) مريضة .. يعودها الرسول الرحيم .. يواسيها في مرضها .. ويقول لها :

كيف تجدينك يا بنية ؟

– فقالت وهى تتألم :

إنى لوجعة .. وإنه ليزيدنى أنى مالى طعام ..

– فاستعبر رسول الله (ﷺ) ثم قال لها ملاطفاً :

" أما ترضين .. أنك سيدة نساء العالمين "

وإذا كانت الزهراء .. لا تجد طعاماً .. باليوم واليومين والثلاثة .. مما يزيدها وهناً على وهن .. مع ما تقوم به من جهد في رعاية بيتها .. وأولادها .. والقيام بواجبات زوجها .. فقد كانت تعانى مع ذلك كله خشونة زوجها وشدته .. فكانت تشكوه إلى أبيها (ﷺ) وقد كان " علىُّ " يشكوها كذلك .. وكان الأب الحانى يتولى صلحهما .. وإصلاح ما بينهما .

وكان النبى (ﷺ) يسعى إليهما .. بين الحين والحين .. يسأل عنهما ويطمئن عليهما .. ويرى " الحسن " و " الحسين " يقبلهما ويضمهما إليه .. وذات يوم شوهد

(ﷺ) بادى الهم .. ضائق الصدر .. فدخل إلى فاطمة (رضى الله عنها) ثم خـرج ووجهه يفيض بشراً وسروراً .. فقيل له :

يا رسول الله .. دخلت على حال .. وخرجت على حال .. وقد بـدت عليـه السعادة والانشراح .

- فقال (ﷺ) :

وما يمنعنى وقد أصلحت بين أحب اثنين إلى ؟!

ونادراً ما كان يحدث بينهما .. ما يستدعى وجود رسـول الله (ﷺ) فتقـول " الزهراء " " لعلى " .. أو يقول لها " على " :

" والله .. لأشكونك إلى رسول الله (ﷺ) "

ثم يأتى الرسول (ﷺ) أو يذهبان إليه .. فيمسح الرسول الكـريم (ﷺ) بيـده الرحيمة عليهما .. ويضىء بكلماته المضيئة حولهما .. فيذهب همهما .. ويعودان إلى بيتهما سعيدين وقد تجدد حبهما .. تقول " فاطمة " له :

لا تثريب عليك يا ابن العم .. !

- فيقول لها :

لا آتى شيئاً تكرهينه أبداً .. يا نعم الزوج !!

((النبى لم يتزوج على خديجة))

حقيقة .. لم يتزوج النبى (ﷺ) على خديجة .. وظـل معهـا فتـرة شـبابه وفتوته .. ربع قرن من الزمان .. أى مكث معها حتـى تجـاوز الخمسـين مـن عمره .. ولم يتزوج إلا بعد موتها .. يوم أن سعت إليه " خولة بنت حكيم " متلطفة مترفقة تقول :

" يا رسول الله ، كأنى أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة ! "

ثم مازالت به .. حتى أذن لها أن تمضي لتخطب له " سودة بنت زمعة " (رضى الله عنها) رحمة بها .. وعزاء لها عن زوجها " السكران بن عمرو " الذي مات عقب عودتهما من مهجرهما في الحبشة .. وتركها أرملة مسنة .. قد طحنتها السنون .. وأنهكتها الأيام .

ثم تزوج النبى بعد ذلك " بعائشة " (رضى الله عنها) وإن ترك هذا الزواج أثراً كبيراً في نفس " الزهراء " غير الذى تركه زواجه من " سودة " لما قد أحست به " الزهراء " من دخول امرأة حياة أبيها .. لتحل مكان أمها .. فهيج ذكراها .. وكان لتعلق النبى (ﷺ) وحبه لعائشة .. أثره في ذلك .. أضف إلى ذلك صغر سن " عائشة " إذ كانت تصغر فاطمة بقليل .

وما إن دخلت " عائشة " إلى بيت النبى (ﷺ) حتى خرجت " فاطمة " إلى بيت " عليّ " (كرم الله وجهه) فلم يمض على زفاف عائشة غير أشهر قليلة حتى زفت " فاطمة الزهراء " إلى " على " (كرم الله وجهه) وتطمئن " فاطمة " على أبيها محمد (ﷺ) في ظل هذا الزواج الجديد وهذه العروس الشابة الذكية الحسناء .

وتمر الأيام سراعاً على زواج " الزهراء " و " على " (رضى الله عنهما) وهما أليفان حبيبان .. لا يعكر صفوهما معكر .. اللهم إلا بعض السحب التي ما تلبث أن تنقشع مع طلوع الشمس . [1]

« بنت حبيب الله وبنت عدو الله »

ولكنَّ حدثاً جليلاً كاد أن يحدث .. فيزلزل كيان الأسرة المباركة .. ويودى بسعادتها .. ذلك عندما خطب " عليُّ بن أبى طالب " بنت " أبى جهل " أو خطبت له عن طريق بنى " هشام بن المغيرة " .

---

(١) ذات يوم خرج على كرم الله وجهه مكتئباً حزيناً في طريقه إلى المسجد فصلى ركعتين .. ثم غلبه النعاس فنام منزوياً في أحد أركانه ، فعلم الرسول (ﷺ) بما بينه وبين فاطمة ، فتقدم منه ومسح ما عليه من تراب .. وهو يقول له ! ما جلوسك هنا يا أبا تراب ؟ ثم أمره أن يعود إلى بيته فأصبح يكنى بتلك الكنية منذ ناداه بها رسول الله (ﷺ) فكانت أحب إليه من الدنيا وما فيها .

وتوجه " بنو هشام " في إثر " عليّ بن أبى طالب " إلى النبى (ﷺ) " وتقدم عليُّ " يستأذنه في ذلك .

- فسأله الرسول (ﷺ) :

أعن حسبها تسألنى ؟

- أجابه عليُّ :

لا .. ولكن أتأمرنى بها ؟

- فأجابه الرسول :

لا .. " فاطمة " بضعة منى ، ولا أحسب إلا أنها تحزن أو تجزع .

- فما كان من على (كرم الله وجهه) إلا أن قال :

لا آتى شيئاً تكرهه .

وكانت " فاطمة الزهراء " .. قد ذهبت إلى أبيها حزينة غاضبة .. تقول له :

يزعم قومك : أنك لا تغضب لبناتك ! وهذا " على " ناكح بنت " أبى جهل " !

غضب رسول الله (ﷺ) وكان لا يغضب قط إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله .. وما انتقم لنفسه قط .

وإذا غضبت فإنما هى غضبة في الحق لا ضغن ولا شحناء

غضب رسول الله (ﷺ) ..

وحق له أن يغضب ..

إذ كيف تجتمع بنت حبيب الله محمد (ﷺ) مع بنت عدو الله " أبى جهل " في بيت واحد ..؟

وكيف تكون .. بنت أعدى أعداء الإسلام والمسلمين .. الذى لم يدخر وسعاً في حرب الإسلام ونبى الإسلام .. ضرة " للزهراء " سيدة نساء أهل الجنة .

وكيف يلتقى الرجلان محمد رسول الله (ﷺ) " وأبو جهل " عدو الله .. في بيت واحد .. إذا تصادف وجودهما معاً في زيارة ابنتيهما .

ثم .. كيف يجمع " عليُّ " (ﷺ) بين الأبيض والأسود .. وبين النور والظلمة .. وبين الخير والشر .. وبين الحبيب والعدو في بيته .. مما قد يحدث فتنة لا يعلم عاقبتها إلا الله .

لقد غضب الرسول لذلك .. وصعد المنبر وخطب في الناس وقال :

« إن بنى " هشام بن المغيرة " .. استأذنونى أن ينكحوا ابنتهم " على بن أبى طالب " فلا آذن لهم .. ثم لا آذن لهم .. ثم لا آذن لهم .. اللهم إلا أن يحب " ابن أبى طالب " أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فإن ابنتى بضعة منى .. يريبنى ما أرابها .. ويؤذينى ما آذاها .. وإنى أتخوف أن تفتن في دينها »

ثم أثنى النبى (ﷺ) على صهره " أبى العاص بن الربيع " زوج " زينب " (ﷺ) فقال :

" حدثنى فصدقنى .. ووعدنى فأوفى لى ، وإنى لست أحرم حلالا .. ولا أحل حراماً .. ولكن .. والله لا يجمع بنت رسول الله .. وبنت عدو الله .. بيت واحد أبداً .

استيقظ " عليُّ " على تلك الكلمات من نوم عميق .. وأفاق على تلك الغضبة .. ولم يكن " على " يقصد سوءا .. حاشا لله .. وإنما كان يعتقد بذلك أنه يأخذ حقا خوله إياه الإسلام .. وكما تجرى به عادة العرب .. والمسلمين .. من الجمع بين النساء مثنى وثلاث ورباع .

ولكن " على " عندما أراد أن يجمع .. اختار أو اختير له .. بنت أعتى الأعداء حقداً وحسداً .. على الإسلام والمسلمين .. وأشدهم حرباً وضراوة على نبى الإسلام .. فكان ما كان .

وليت علياً (ﷺ) اتخذ من ابن عمه محمد (ﷺ) أسوة له في ذلك .. فلقد ظل النبى (ﷺ) حتى تجاوز الخمسين من عمره .. وهى زهرة شبابه .. زوجاً لخديجة وحدها .. دون سائر النساء .. يثنى عليها خيراً في حياتها وبعد موتها .. ولم يتزوج عليها .. طيلة ربع قرن من الزمان .. ولو عاشت خديجة ما تزوج رسول الله (ﷺ) والدليل على ذلك قوله لعائشة أحب نسائه إليه بعد " خديجة " (رضى الله عنها) عندما سألته :

ألم تكن عجوزاً أبدلك الله خيراً منها ؟! (تريد أن تقول : أنها خير من خديجة)

فغضب رسول الله (ﷺ) وقال لها :

والله ما أبدلنى الله خيراً منها ..

لقد آمنت بى إذ كفر الناس .. وصدقتنى إذ كذبنى الناس .. وأعطتنى إذ حرمنى الناس .. ورزقنى الله منها الولد دون سائر النساء .

قالت " عائشة " : يا رسول الله .. استغفر لى .

قال (ﷺ) : لا .. حتى تستغفرى " لخديجة " .

أراد الرسول (ﷺ) أن يقول لها .. :

لقد جمعت " خديجة " من الصفات .. ما لم تجمعه النساء مجتمعات .. ولهذا فإن الله تعالى لم يبدله خيراً .. منها .

ولهذا .. فلو بقيت " خديجة " ما تزوج رسول الله (ﷺ) وكيف يتزوج .. وقد جمعت من الصفات .. ما لم يجتمع في النساء .. وكيف يتزوج .. وخديجة عنده .. كوكبة الصفات .. وجوهرة المحاسن .. وكنز الكمالات .

- ألم يقل (ﷺ) :

((كمل من الرجال كثير .. ولم يكمل من النساء إلا أربع .. :

" خديجة زوج محمد (ﷺ) وفاطمة بنت محمد (ﷺ) ومريم ابنة عمران .. وآسية زوج فرعون ."))

دار هذا كله .. برأس " على " بعد أن دنا من النبى (ﷺ) وقبله .. وقال له :

والله لا آتى شيئاً تكرهه .. يا رسول الله .. !

ومضى " علىُّ " إلى بيته مثقل الخطى .. شارد الفكر .. يسأل نفسه .. كيف حدث هذا منى .. ؟

كيف أستبدل بابنة محمد (ﷺ) ابنة أبى جهل ..؟!

كيف أستبدل بحبيب الله .. عدو الله ..؟!

كيف أستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ..؟!

كيف أستبدل الدنيا بالآخرة ..؟!

كيف ..؟! كيف ..؟! حتى وجد نفسه في بيته .. حيث " الزهراء " ترقد .. ويخيم على البيت سكون مقيت .. لا يبدده إلا بعض قطرات الفضة تنحدر من عينى " الزهراء " .

فدنا " علىُّ " من " فاطمة " يمسح أساها .. ويلتمس رضاها .. ويقول لها :

هبينى أخطأت في حقك يا " فاطمة " ، فمثلك أهل للعفو والمغفرة .

ومضى " علىُّ " يداعبها .. ويلاطفها .. حتى تجيبه .. ولكنها ظلت مطرقة حزينة .. ثم قالت له بعد أن ذهب روعها :

غفر الله لك يا بن العم ..

فكانت هذه الكلمة .. برداً وسلاماً على قلب " علىّ " .. أنارت أمامه السبيل بعدما تعثرت خطواته .. فدنا منها .. ولثم أطراف أناملها .. وهو يقول :

والله .. لا آتى شيئاً تكرهينه أبداً !

يا حبيبة القلب .. ويا أنيسة الروح ..

ودائماً !!!

كلما دنت من سمائهما سحابة .. سرعان ما تنقشع .. ويعود البيت أكثر صفاء مما كان .. فهذه السحب التى تجوب السموات .. وهذه الآلام التى تمر على المحبين .. وهذه الأوهام التى تطوف على الأزواج .. إنما هى من قبيل التجديد الذى يقضى على الرتابة .. وهى بمثابة الملح من الطعام .. فكما أنه لا تصلح الحياة .. ولا تستمر .. دون أن يحدث بها مثل هذه العثرات .. كذلك فإن الطعام لا يصلح دون هذه الحصيات .. من الملح .. ولكن الملح لابد أن يكون بقدر .. فلا يزيد عن الحد .. وإلا انقلب إلى الضد .

عاش " على " (ﷺ) يرعى الزهراء (رضى الله عنها) بقلبه وعينيه .. ولا يفعل شيئاً يغضبها ولا يأتى شيئاً تكرهه .. بل يجتهد في ترضيتها .. أشد الاجتهاد .. ويبذل من أجل ذلك الغالى والنفيس .. حتى قال لها ذات يوم :

هل أنت راضية عنى يا " فاطمة " ..

- قالت له :

كل الرضا .. يا ابن العم .

وسارت الحياة بهما .. سيرها السعيد .. في كنف أعظم والد .. وأكرم نبى .. يحيطهما ببركاته .. ويحفهما بآياته .. ويمنحهما من رحمته .. ويعطيهما من حنانه .. وأى سعادة تلك ؟! وأى بركة هذه .. التى يكون المصطفى (ﷺ) حاضرها .. ومباركها .. ؟!

((رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)) [1]

((حادثة الفدك))

بادىء ذى بدء ما هى " الفدك "

" الفدك " عزبة نخيل كانت للرسول (ﷺ) يصرف منها على أهل بيته .. وينفق ما زاد على فقراء المسلمين .

وبعد أن مات رسول الله (ﷺ) طلبت السيدة " فاطمة الزهراء " ((فدك)) من " أبى بكر الصديق " فوافقها أبو بكر (ﷺ) واعترض " عمر بن الخطاب " (ﷺ).

وتروى كتب التاريخ تلك الواقعة فتقول :

حضرت السيدة " فاطمة الزهراء " ذات يوم إلى خليفة رسول الله (ﷺ) وقالت له :

إن رسول الله (ﷺ) أعطانى ((فدك)) وشاهداى " على " و " أم أيمن " .

- فأجابها " أبو بكر الصديق " :

لا أرتاب فيما تقولين .. وقد أعطيتك ((فدك)) .

---

(1) هود (٧٣) .

ثم حرر لها حجة بذلك على قطعة من الجلد وسلمها إياها ، وفيما هى عائدة إلى دارها .. قابلها " عمر " وسألها من أين هى آتية ، فأخبرته بما تم بينها وبين أبى بكر (ﷺ) .

فلم يرق ذلك لعمر .. فأخذ الحجة من يدها .. ورجع بها إلى " أبى بكر " وسأله عن الحقيقة فأصدقه الخبر وقال :

إن علياً يريد أن يملك « فدك » وأم أيمن امرأة .

ومحا ما على الحجة من كتابة ومزقها في الحال .

فأحزن هذا " فاطمة " حزناً شديداً .. وراجعت " أبا بكر " .. وهى تعلم قول أبيها :

" إننا معشر الأنبياء لا نورث .. وما خلفناه صدقة "

وعندما بلغها موافقة " أبى بكر " على منعها .. ونزوله إلى رأى " عمر " لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها .. ونساء قومها في إثرها .. ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (ﷺ) حتى دخلت على " أبى بكر " .. وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار .. فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء ، ثم أنَّت أنة أجهش لها القوم بالبكاء ، ثم أمهلت طويلاً حتى سكتوا من فورهم ، ثم قالت :

أبتدئ بحمد من هو أولى بالحمد .. والطول والمجد ..

الحمد لله على ما أنعم .. وله الشكر بما ألهم ..

وألقت خطبة طويلة .. اهتزت لها القلوب .. جاء فيها :

اتقوا الله حق تقاته وأطيعوه فيما أمركم به ، فإنما يخشى الله من عباده العلماء ، واحمدوا الله الذى لعظمته ونوره يبتغى من في السموات والأرض إليه الوسيلة .. ونحن وسيلته في خلقه .. ونحن خاصته ، ومحل قدسه ، ونحن حجته في غيبه .. ونحن ورثة أنبيائه .

أنا " فاطمة " ابنة محمد (ﷺ) أقول عوداً على بدء .. وما أقول ذلك سرفاً ولا شططاً ، فاسمعوا بأسماع واعية .. وقلوب راعية ..

((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)) [1]

فإن تعزوه تجدوه أبى دون آبائكم ، وأخاه ابن عمى دون رجالكم ..

ثم أنتم الآن تزعمون : أن لا إرث لى ..

((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) [2]

إيهاً معاشر "المسلمين ابتز إرث أبى ..

أبى الله أن ترث يا ابن " أبى قحافة " أباك .. ولا أرث أبى .. لقد جئت شيئاً فرياً .. فدونكما مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك .. فنعم الحكم الله .. والزعيم محمد (ﷺ) ، والموعد القيامة ،

((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ)) [3]

((لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)) [4]

((فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ)) [5]

ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت :

يا معشر البقية ، وأعضاد الملة ، وحضنة الإسلام ، ما هذه الفترة عن نصرتى .. والونية عن معونتى ، والغمزة في حقى ، والسنة عن ظلامتى ، أما كان رسول الله (ﷺ) يقول :

" المرء يحفظ في ولده " ؟!

.. سرعان ما أحدثتم .. وعجلان ما أتيتم ..

إن موته لعمرى خطب جليل .. استوسع وهنه .. واستبهم فتقه ، وفقد راتقه وأظلمت الأرض له .. وخشعت الجبال ، واكدرت الآمال .. أضيع بعده

---

(١) التوبة (١٢٨) .

(٢) المائدة (٥٠) .

(٣) الجاثية (٢٧) .

(٤) الأنعام (٦٧) .

(٥) هود (٣٩) .

الحريم ، وهتكت الحرمة وأزيلت المصونة ، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل وفاة رسول الله (ﷺ) .

إيهاً بنى قيلة ، اهتضم تراث أبى .. وأنتم بمرأى ومسمع ، تبلغكم الدعوة .. ويشملكم الصوت .. وفيكم العدة والعدو ، ولكم الدار والجفن ، وأنتم نخبة الله التى انتخب ، وخيرته التى اختار ، ألا وقد أرى أن الجلد تم إلى الخفض ، وركنتم إلى الدعة فجحدتم الذى وعيتم ، ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة منى بالخذلة التى خامرتكم ، وخور القناة ، وضعف اليقين ، فدونكموها فاحتووها مدبرة الظهر ، ناقبة الخف ، باقية المعار ، موسومة الشعار ، موصولة بنار الله الموقدة .. التى تطلع على الأفئدة ، فبعين الله ما تعملون .

((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)) (1)

فأجابها أبو بكر الصديق (ﷺ) بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

يا ابنة رسول الله ، والله ما خلق الله خلقاً أحب إلىّ من رسول الله (ﷺ) ولوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك ..

والله لأن تفتقر عائشة أحب علىّ من أن تفتقرى ..

أتراني أعطى الأحمر والأبيض حقه .. وأظلمك حقك أنت بنت رسول الله (ﷺ) لقد كان رسول الله (ﷺ) يقول :

" نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما خلفناه صدقة " .

ولست تاركاً شيئاً .. كان رسول الله (ﷺ) يعمل به إلا عملت به ..

ثم تعهد لها بعد ذلك أن يدفع إليها ما يخصها من نصيبها ، وينفق الباقى على فقراء المسلمين .

فقامت .. وتوجهت نحو قبر أبيها .. تبثه شكواها .. وتشهده عليهم .. من هضم لحقها .. وإجحاف لإرثها .

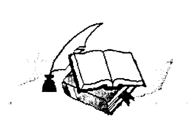
---

(1) الشعراء (٢٢٧) .

ثم نهج " عمر " في خلافته نهج " أبى بكر " في صدقة ((فدك)) وكذلك عثمان وعلى (ﷺ) وعندما توفى " الحسن بن على " في خلافة " معاوية بن أبى سفيان " قسمها بين " مروان بن الحكم " و " يزيد بن معاوية " و " عمر بن عثمان بن عفان " .

وأما في خلافة " مروان بن الحكم " فقد انتقلت جميعها إليه عن طريق الميراث إلى ابنه " عبد العزيز " ، وعندما ولى الأمر " عمر بن عبد العزيز " (ﷺ) أعادها جميعها إلى أولاد " فاطمة الزهراء " (رضى الله عنها) .

ثم انتقلت إلى العباسين عندما آل إليهم الحكم ، وبأفول دولتهم انتقلت إلى الفاطميين ، وكانوا يوزعون تمرها على حجاج بيت الله الحرام .. إلى أن قطعت أشجارها فانتهت بقطعها حادثة ((فدك)) التى امتدت عصرين متواليين !



فاطمة الزهراء

سيدة نساء العالمين

(رضى الله عنها)

زهـــراء يـــا بنــت الرســـول　　أفـــديك فاطمـــــة البتـــول

خيـــــر النســـــاء جمـــيعهن　　وخيــــر أبنــــاء الرســــول

أم الحســـــين شــــهيد كــــرب　　والمقـــــدم فـــــي الأصـــول

أم الحســـين الكوكـــب النبـــوى　　والحســــــــن العــــــــدول

جــــاءت طهارتهـــا كتابـــاً　　أذهلـــــت فيــــه العقــــول

تركـــت جميــــع العــــالمين　　بمـــا لـــديها فــــي ذهـــول

صــــعدت بنجميهــــا إلـــى　　الفـــردوس لا تبغـــى النـــزول

وقفـــت تـــدافع عـــن أبيهـــا　　ضـــــد كفـــــار جهــــول

وتـــرد أهــل الشـــرك عنـــه　　فــلا ســبيل إلـــى الوصـــول

كانـــت إنـــاء الـــورد تنمـــو　　فيـــــه أزهــــار الرســــول

فتـــــرى حدائقــــه شـــــذا　　بـــين القلـــوب وفـــى العقـــول

فطـــرت علـــى نـــور الهـــدى　　وتهدهـــدت بـــين الأصـــول

شـــربت مـــع الفجـــر النـــدى　　وترعرعـــت وســـط الحقـــول

أرأيـــت مـــن ترضـــى الســـماء　　لهـــا وتغضـــب إذ تقـــول

يرضـــى ويغضـــب ذو الجـــلال　　لأجـــل فاطمـــة البتـــول

الله يرضـــــــى إن رضـــــــيت　　فهـــل رضـــيت عـــن الرســـول

قصـــر الزمـــان وطولـــه ... رهـــن التـــألق والخمـــول
قـــد يقصـــر الـــزمن الطويـــل ... بمـــا يجـــيش وقـــد يطـــول
إن الســـــعادة والشـــــقاء ... عليهمـــا قصـــر وطـــول
فـــاهتف بـــه بـــين الـــورى ... وأهـــب بـــه حتـــى يقـــول
قـــد كـــان يـــوم زفافهـــا ... يومـــا تـــدق لـــه الطبـــول
فـــى أرضـــنا وســـمائنا ... ذكـــراه خلـــد لا يـــزول
وقفـــت بحجـــرة زوجهـــا ... تـــأبى الخـــروج أو الـــدخول
عكفـــت تصـــلى فـــى خشـــوع ... وهـــى تـــدعو فـــى مثـــول
والـــزوج ينتظـــر الفـــراغ ... مـــن الصـــلاة علـــى فضـــول
فـــإذا أتمـــت نفلهـــا ... والـــزوج فـــى قلـــق يجـــول
قالـــت لـــه يـــا زوجـــى البـــر ... الصـــلاة هـــى الوصـــول
وأردت بـــــدء محبتـــــى ... لـــك بالصـــلاة علـــى الرســـول
ليكـــون محرابـــى هنـــا ... نـــوراً لقبـــرى فـــى الطلـــول
فلنتـــق المـــولى معـــاً ... فلعلنـــا نلقـــى القبـــول
ولنفعـــل الخيـــر امتثـــالاً ... بالرســـول لمـــن نعـــول
ولنســـتعد اليـــوم بـــالتقوى ... إلـــى يـــوم المثـــول
لا تنـــزوى فـــى دينهـــا ... لكنهـــا الـــزوج الخجـــول
علـــم وفقـــه فـــى انســـياب ... فهـــى جامعـــة الأصـــول

فـــالهجرة الكبـــرى طريـــق ... الســـابقين إلـــى الوصـــول
فـــى روضـــة كانـــت شـــذا ... تـــأبى حـــدائقها الـــذبول
وســـماحة جـــاءت هـــدى ... تـــأبى كواكبهـــا الأفـــول
فـــالفتح كـــان ســـماحتين ... بـــلا انتقـــام أو غلـــول

حيـــث الربيـــع عــــرائس يزهـــو بهـــم بـــين الفصـــول
خيـــر علـــى هـــذا الـــورى والخيـــر تحملـــه الخيـــول
فتـــرى الشـــباب ببابهـــا أيـــن الشـــباب مـــن الكهـــول
لا فـــــرق بينهمـــــا إذن هـــــذا وذا أمـــــر مهـــــول
مـــن يـــوم أن ضـــم المكـــارم كلهـــا حلـــف الفضـــول
ذهـــب الضـــلال بهـــم دجـــى ومضـــى ولـــيس لـــه ذيـــول
فـــالكون أصـــبح قريـــة والأرض طيعـــة ذلـــول

أهـــلاً بـــأم " محمـــد "[1] أهـــلاً بســـيدة الفحـــول
أمّ لوالـــدها المربـــى وهـــى أصـــغر مـــن يعـــول
نفـــس يكملهـــا الخشـــوع فـــلا نـــزاع ولا ميـــول
مـــا جاءهـــا متســـائل أو ســـائل إلا ينـــول
تعطـــى بأيـــد غارفـــات فـــيض جـــود كالســـيول
وجـــه كوجـــه المصـــطفى جمـــع الســـماحة والقبـــول
يـــا مهـــبط الآيـــات خضـــراً فـــي الرحيـــل وفـــي الحلـــول
يـــا أصـــل كـــل فضـــيلة بيـــديك ينبـــوع الأصـــول
يـــا بنـــت مفخـــرة النســـاء " خديجـــة " زوج الرســـول
مـــا زلـــت ســـيدة النســـاء علـــى التفـــرد والشـــمول
يـــا زهـــرة البيـــت الطهـــور وحبـــة الـــروح البتـــول
الزهـــر يـــذبل كلـــه ورحيقـــه الشـــذى يـــزول
لكـــن زهرتـــك الأنيقـــة لـــيس يـــدركها الـــذبول

---

(١) كان النبى يناديها بهذه الكنية (أم أبيها) إعظاماً لقدرها ومحبة لها .

المراجع

١- القرآن الكريم .
٢- المعجم المفهرس .
٣- تفسير القرآن العظيم (لابن كثير) .
٤ تفسير في ظلال القرآن (للشهيد سيد قطب) .
٥- تفسير القرطبى .
٦- تفسير الجلالين .
٧- تفسير أبى السعود .
٨- تفسير المنار (للشيخ رشيد رضا) .
٩- صفوة التفاسير (للشيخ محمد على الصابونى) .
١٠- تفسير الطبرى .
١١- فتح البارى شرح صحيح البخارى .
١٢- صحيح مسلم .
١٣- مسند الإمام أحمد .
١٤- سنن أبى داود .
١٥- زاد المعاد (لابن القيم) .
١٦- الترغيب والترهيب (للمنذرى) .
١٧- الدين الخالص (محمود خطاب السبكى).
١٨- فقه السيرة (للبوطى) .
١٩- فقه السنة (السيد سابق) .
٢٠- الفقه على المذاهب الأربعة .
٢١- إحياء علوم الدين (للغزالى) .
٢٢- مقدمة ابن خلدون .
٢٣- أحكام القرآن (لابن العربى) .
٢٤- لسان العرب (لابن منظور) .
٢٥- مختار الصحاح (للرازى) .
٢٦- المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) .
٢٧- مفردات القرآن (للأصفهانى) .
٢٨- البداية والنهاية (لابن كثير) .
٢٩- الأحاديث القدسية (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .
٣٠- رياض الصالحين (للنووى) .
٣١- الموطأ (للإمام مالك) .
٣٢- الدر المنثور (للسيوطى) .
٣٣- الدرارى المضيئة (للشوكانى) .
٣٤- فضائل القرآن (لابن كثير) .
٣٥- روح المعانى (للألوسى) .
٣٦- الروح (لابن القيم) .
٣٧- الأذكار (للنووى) .
٣٨- الجواب الكافى (لابن القيم الجوزية) .
٣٩- صيد الخاطر (لابن الجوزى) .
٤٠- غاية الحكيم (لمسلمة بن أحمد) .
٤١- مكاشفة القلوب (للغزالى) .
٤٢- مفتاح السعادة (لابن القيم) .
٤٣- الطب النبوى (لابن القيم) .
٤٤- خزانة الأدب (للبغدادى) .
٤٥- من وصايا القرآن (دار التراث العربى).
٤٦- تفسير الأحلام (لابن سيرين) .
٤٧- تفسير الأحلام (للنابلسى) .
٤٨- في رحمة الله (للمؤلف) .
٤٩- حديقة الأولياء (للمؤلف) .
٥٠- لآلئ ودرر من عدالة عمر (للمؤلف) .
٥١- لؤلؤ ومرجان (للمؤلف) .
٥٢- من خشية الله (للمؤلف) .
٥٣- السعى إلى الآخرة (للمؤلف) .
٥٤- أسماء الله الحسنى (للمؤلف) .
٥٥- رمضان كريم (للمؤلف) .

الفهرس